دور الإنترنت والمواقع الإلكترونية الاجتماعيّة في التّحول الدّيمقراطيّ في المنطقة العربيّة والشّمال الأفريقيّ

د. حبيب الله صالح حسن(●)

المبحث الاول

المواقع الافتراضية والمدونات مدخل منهجي:

أصبح الإنترنت بما يحمله من مدونات رقميّة وصفحات افتراضية، يكتسب شعبية واسعة ورواجًا، ويقوم بدورٍ كبيرٍ في تشكيل الرأي العام وبالتالي صناعة القرار، خاصة في قضايا الحكم والسياسة. وقد زاد من إنتاج المدونات والمشاركات الافتراضية رخص النشر فيها، وسهولة الكتابة إليها.

غير أن المشكلة التي تعترض تطور المدونات وفضاءات النشر الإلكتروني تكمن في عدم وجود سلطة مركزية تعمل على تحديث هذا المنتج المعرفي المهم وتطويره ، من خلال دراسة مضامينه وتحليلها وإبداء الملاحظات والتعليقات عليها.

فعلى سبيل المثال، في دراسة مسحيّة لمضامين خمسة وعشرين موقعًا اجتماعيًّا مستضافًا على محرك البحث(Google) تم الحصول على معلومات مهمة تتعلق بالجهات المنشأة لهذه المواقع، فيما إذا كانت أفرادًا أو جماعات، إناثًا أو ذكوراً وتواريخ إنشاء هذه المواقع، التعليقات الواردة عليها (Feed back)، البرامج الموظفة لجعل الموقع أكثر جاذبية ومقروئية، من خلال توظيف برامج الإعلام التّفاعليّ مثل أفلام الفيدو، الصور الثابتة إضافة إلى دورية تحديث مضامين هذه المواقع وتزويدها بالأخبار الآنية والفورية كسمة

(●) استاذ مساعد بكلية علوم الاتصال بجامعة السودان العلوم والتلكنلوجيا.

مميزة للنشر الإلكتروني،(١) وخلصت الدراسة إلى أن نسبة المدونات والمواقع ذات الصفة الاجتماعية«community sites» في زيادة مستمرة قياسًا على ما هي عليه الآن، والمهم في الأمر أن أنواع مختلفة من التقنيات قد طبقت لدراسة واقع هذه المواقع، لمعرفة أهم مميزاتها والمشاكل التي تواجهها، بما في ذلك تقنيات تحليل المضمون الرّقميّ وتأثير المفردات والصور والأفلام التي تزود بها على الأفراد(٢) من خلال إجراء قراءة نقدية «Rhetorical Analysis» « لتعمل على دراسة بيئة الموقع بشكل متكامل، حيث أظهرت الدراسات أن هذا النوع من البحوث يعد قليلاً جدًا (٣)

وأظهرت نتائج دراسة أخرى أجريت على ٢٤ مدونة وموقع للويكي والمواقع الأخرى التي طبق فيها منهج البحوث الكمية، أن الردود الراجعة (feed back) وانطباعات الزّوار قد ظهرت نتائجها بجلاء من خلال التحليل الرّقميّ لهذه المواقع الشيء الذي لا تتيحه دراسة مضامين الصحافة الورقية التقليدي، مما أظهر بوضوح الحاجة إلى دراسات تحليلية أعمق وأشمل لتحليل مضامين هذه المدونات والمواقع الافتراضية.

لذلك يعد منهج تحليل المضامين الرّقميّة لهذه المواقع methodology for blog <analysis والذي يعد حديثًا نسبيًّا ويعد كذلك ضعيفًا نسبيًّا، مما يعني الحاجة إلى إنضاج هذه التجربة لتتبع نشاط هذه المواقع الآخذة في الازدياد، من خلال البحث عن منهج، مفردات وآليات تحليل خاصة

---

(1) Spadaccini, J, 2006. Museums 2.0 A Survey of Museum Blogs & Community-Based Sites, http://www.ideum.com/blog/wp-content/uploads/2006/03/museumblogs3-6-06.pdf.

(2) Miller, C. R., Shepherd, D, Blogging as social action: A genre analysis of the weblog. In L. Gurak, S. Antonijevic,

L. Johnson, C. Ratliff, & J. Reyman (eds.), Into the Blogosphere: Rhetoric, Community, and Culture of Weblogs.University of Minnesota, 2004, http://blog.lib.umn.edu/blogosphere/blogging_as_social_action_a_genre_analysis_of_the_weblog.html

(3) BLOG CONTENT ANALYSIS: REFLECTIONS AT BUKIT CHANDU,SINGAPORE HERITAGE SITE, Schubert Foo, Division of Information Studies, Wee Kim Wee School of Communication and Information, Nanyang Technological University, Singapore 637718, http://www3.ntu.edu.sg/home/assfoo/publications/2009/2009-IADIS-SF_fmt.pdf

< Content analysis is a HYPERLINK «http://en.wikipedia.org/wiki/Methodology» methodology in the HYPERLINK «http://en.wikipedia.org/wiki/Social_sciences» social sciences for studying the content of HYPERLINK «http://en.wikipedia.org/wiki/Communication» communication. HYPERLINK «http://en.wikipedia.org/wiki/Earl_Babbie» Earl Babbie defines it as «the study of recorded human communications, such as HYPERLINK «http://en.wikipedia.org/wiki/Book» \o «Book» books, HYPERLINK «http://en.wikipedia.org/wiki/Website» \o «Website» websites, HYPERLINK «http://en.wikipedia.org/wiki/Painting» \o «Painting» paintings and HYPERLINK «http://en.wikipedia.org/wiki/Law» \o «Law» laws.»

بهذا المنهج، تستطيع مسح آراء القطاع الواسع من الزّوار، إضافة إلى خصوصية جمع البيانات الرّقميّة تمهيدًا لتحليلها من خلال التنزيل لهذه البيانات downloading of the blogs أولاً ، ومن ثم تخزين المادة المكتوبة عبر نظام< textual format for analysis ، بالإضافة إلى استخدام برامج أخرى تساعد في تحويل المواد الأخرى غير المكتوبة إلى موضوعات مفيدة لأغراض دراسة تحليل المضمون الرّقميّ لهذه المواقع.

وفي دراسة شملت ٥٤ مدونة إنجليزية وصينية خلال الفترة من ٢٠٠٢-٢٠٠٧م، أظهرت الدراسة أهمية الحصول على الراجع (feed back) من قبل الزّوار بالإضافة إلى تحديد نقاط الضعف في هذه المدونات والتحديات التي تواجهها، وخلصت الدراسة إلى اقتراح وظائف جديدة ليقوم بها منهج تحليل مضمون المدونات الرّقميّة.(١)

وأظهرت دراسات تحليل المضمون بشكل عام عدم وجود اختلافات على مستوى النوع، وأن المدونات تكتب على طريقة اليومية diary وبطريقة عاطفية أكثر منها موضوعية، وأن اختلافات توجد على مستوى أعمار المجموعات age groups، حيث إن المدونين في الفئة العمرية ما بين ١٨-٢٩ سنة يستخدمون الكتابة شبه الرسمية informal، بينما الفئة العمرية فوق الخمسين تستخدم نمط الكتابة العاطفية السلبية لأنهم في واقع الأمر يعبرون عن أنفسهم وذواتهم كنمط كتابة مميز لمدوناتهم.(٢)

وأظهرت دراسة أجريت في العام ٢٠٠٣م أن نسبة المدونات من الإناث بلغنَ ١٦٪ وأن معظم هؤلاء المدونات من المراهقات، وأن مدونات الرجال تميل بشكل كبير للكتابات السياسية، وأنها تعد أكثر شعبية قياسًا بمدونات النساء.(٣)

< Textual analysis includes the identification, examination, and evaluation of various techniques and tools used by the creator of a text. However, text represents factual information (and information about the author's communicative intentions. However, analyzing huge amounts of textual data requires a tremendous amount of work in reading all of the text and organizing the content.

(1) Herring, S. C. et al, 2004. Bridging the gap: A genre Analysis of weblogs. Proceedings of the 37th Hawaii International Conference on System Sciences (HICSS-37), Los Alamitos: IEEE Press.

(2) Blog Function Revisited: A Content Analysis of MySpace Blogs, Chris Fullwood, Ph.D., Natasha Sheehan, B.Sc., and Wendy Nicholls, PhD, Published in Volume: 12 Issue 6: December 7, 2009,Online Ahead of Print: September 29, 2009, http://www.liebertonline.com/doi/abs/10.1089/cpb.2009.0138.

(3) Women and Children Last: The Discursive Construction of Weblogs, Susan C. Herring, Inna Kouper, Lois Ann Scheidt, and Elijah L. Wright, Indiana University at Bloomington , http://blog.lib.umn.edu/blogosphere/women_and_children.html

بينما أظهرت دراسة أخرى نتائج مخالفة تشير إلى أن نسبة المدونين تظهر تقاربًا كبيراً بين الأعمار والنوع، أي أن متغيري العمر والنوع لا يظهران فروقًا كبيرة كما يظهر الجدول أدناه. (١)

جدول رقم (١) يبيِّن النوع

	سبتمبر ٢٠٠٣	مارس ٢٠٠٣	المجموع
ذكور	**64 (48%)**	**100 (54%)**	**164 (52%)**
إناث	**68 (52%)**	**84 (46%)**	**152 (48%)**
المجموع	**132 (100%)**	**184 (100%)**	**316 (100%)**

جدول رقم (٢) يبيِّن الفئات العمرية

الفئة العمرية	سبتمبر ٢٠٠٣	مارس ٢٠٠٣	المجموع
البالغون	٤٩(٣٧٪)	١١١(٦٠٪)	١٦٠(٥١٪)
Emerging الواضح	٣٣(٢٥٪)	--	٣٣(١٠٪)
المراهقون	٥٠(٣٨٪)	٧٣(٤٠٪)	١٢٣(٣٩٪)
المجموع	١٣٢(١٠٠٪)	١٨٤(١٠٠٪)	٣١٦(١٠٠٪)

ويهدف تحليل المضمون الرّقميّ لإظهار المعلومات غير الظاهرة طبق الأصل على السطح(٢) ، من خلال تطبيق منهج بحثي يختص بقياس هذه الظواهر. ففي دراسة تحليلية لمضامين تناول حالة السرطان في المدونات، أظهرت البيانات أن ٨٠٪ منها تحوي موضوعات قصيرة نسبيًّا،

(1) http://blog.lib.umn.edu/blogosphere/women_and_children.html#_edn4

(2) De Wever, B., Schellens, T., Valcke, M. & Van Keer, H. (2006) <Content analysis schemes to analyze transcripts of online asynchronous discussion groups: A review>. Computers & Education, 46 (1), pp.6-28

تتضمن أقل من ٥٠٠ كلمة، حيث تم الحصول على هذا المؤشر من خلال إدخال كلمة سرطان، ومن ثم تحريك مؤشر البحث. وهنالك طرق بحث مضمون أخرى تعد أعمق يمكن تطبيقها، حيث يحدد مستوى العمق ولهذه النتائج المطلوب الحصول عليها، وهذا يتطلب ترميز المتون محل البحث ومن ثم تحديد شكل التحليل المقترح.(١)

أما في المجال السياسي، وفي حالة الصين على سبيل المثال، ورغم زيادة حركة التدوين فيها، إلا أن القليل من الجمهور بما فيهم المختصين أنفسهم، يعرفون عن البعد الاتصالي Communications Approach لهذه المدونات، ودرجات تأثيرها على المجتمع الصيني. فقد أوضحت دراسة تحليل مضمون أولية لهذه المواقع أن المدونين يخوضون نقاشات سياسية عميقة في موضوعات سياسية بالغة الحساسية، وأن وجهات نظر متباينة قد ظهرت حول الموضوعات المطروحة، وأن نقدًا حادًا للحكومة الصينية قد برز من خلال ما أوضحته نتائج تحليل المضمون لهذه المدونات.(٢)

كما أن دراسات تحليلية قد أجريت على مواقع إلكترونية تتيح فرص الوقوف على مستوى الجريمة واتجاهاتها، ودراسة حالة الإرهاب ومواقعه ومواقفه الأيدلوجية والفكرية، نسبة لما يوفره النشر عبر الإنترنت من حرية واسعة تسمح بتوفر مادة غزيرة عن الجريمة المنظمة والإرهاب وغيرها من الظواهر المجتمعية، وهذه المادة تتيح فرصة تحليل المادة المرئية في هذه المواقع، من خلال تجميعها تجميعًا استكشافيًّا، وكذلك من خلال الروابط الموجودة لهذه المواقع والمدونات.

كما تتيح هذه المواقع إزاحة الستار عن شكل العلاقة ما بين مضامين هذه المواقع وما تتيحه لأجهزة المخابرات والأجهزة العدلية لاقتراح البدائل المناسبة لمواجهة هذه المهددات المجتمعية والأمنية مما يساعد في تعديل الأنظمة العدلية بما يتيح تحقيق الأمن والسلم»(٣)

(1) http://writing.colostate.edu/guides/research/content/pop3b.cfm

(2) New media society, http://nms.sagepub.com/content/11/6/1003.abstract, The political blogosphere in China: A content analysis of the blogs regarding the dismissal of Shanghai leader Chen Liangyu, HYPERLINK «http://nms.sagepub.com/search?author1=Xiang+Zhou&sortspec=date&submit=Submit» Xiang Zhou.

(3) http://ieeexplore.ieee.org/xpl/freeabs_all.jsp?arnumber=4258673

بناءً على ما تقدم فإن حالة العالم العربي ومنطقة الشمال الأفريقي تعد في حاجة لدراسة حالة تأثير المدونات والمواقع الإلكترونية التي أخذت تشكل واقعها السياسي، وتؤثر على نظامها الاجتماعي من خلال ما هو ماثل أمامنا الآن، ساعد على ذلك سمات المنطقة المشتركة والمتشابهة وصفاتها ، حيث تعاني المنطقة من أزمة سياسية شاملة وعميقة الجذور، تطرقت إليها وناقشتها هذه المواقع والمدونات، إضافة إلى مراكز البحث العلمي والدراسات الإستراتيجية وغيرها من المراكز المعنية برصد الأزمات، ورغم التباين والاختلاف المنهجي والفكري للجذر السياسي لهذه الأزمة، التي يرجعها بعضهم إلى أزمة مجتمع يعاني التحول من مرحلة المعرفة التقليدية إلى مرحلة الانتقال إلى الفضاءات الافتراضية، ووجهت نظر أخرى ترى بأن الأزمة إنما هي أزمة دولة كما ذهبت إلى ذلك أعمال ندوة مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة كارنيغي للشرق الأوسط والجمعية العربية للعلوم السياسية< فيما ترى جهات أخرى أنها ترجع بالدرجة الأولى إلى غياب الديمقراطية أو ما يسمى «بأزمة الحكم الرشيد»، ولكن واقع الحال يشير إلى أن الأزمة تتعلق بشكل العلاقة ما بين السلطة وفئات المجتمع.

وللوقوف على جذور هذه الأزمة والعوامل التي ساعدت على إنضاجها، ثم ظهورها على أرض الواقع، رأينا إجراء دراسة منهجية ومتابعة تأريخية لربط جذر المشكلة التأريخي بأبعادها الآنية، من خلال متابعة تأريخية سلسة ومنطقية تتيح زاوية نظر حقيقية لهذه المشكلة التي هي في طور التبلور والتشكل، وأن النهايات الطبعية لها لم تكتمل بعد، مما يجعل الخوض فيها ليس بالأمر اليسير.

المبحث الثاني
مقدمات الأزمة:

أولاً – العولمة*:

من الصعب إن لم يكن من المستحيل الفصل بين ما يجري – ببعده السياسي وبعده التقني– عن الحلقة التكوينية والجنينية الأولى التي تشكلت بداخلها أزمة التحول الكبري في العالم، بما في ذلك العالم العربي والشمال الأفريقي، ونحن هنا نشير لمرحلة العولمة التي مرت دون مناقشة شروطها أو حتى التعاطي معها إلا في حدود ضيقة، فتيار العولمة لم يكن تياراً منعزلاً عما نحن فيه اليوم بل هو المقدمة وما نحن فيه إلا نتيجة طبعية له.

ورغم أن العولمة تأخذ طابعًا اقتصاديًّا غالبًا كما في حالة تداول السلع والخدمات التي تتعلق بقضايا الدخل القومي للأفراد والجماعات، وقد تأخذ طابع العمالة بما في ذلك معدلات الهجرة وحتى النزوح من أجل الشغل، وقد تأخذ طابع تحركات رؤوس الأموال لأغراض الاستثمارات، إلا أن جانب التكنلوجية يعد هو الأهم نظراً لتعلقه بالبحوث والتواصل المجتمعي العالمي عبر وسائل تكنولوجيا الاتصال الحديثة وما شاكلها من وسائل الاتصال.

فضلاً عن ذلك فإن العولمة لها العديد من الآثار، خاصة على المستوى السياسي الذي يسهم في تنظيم العلاقة ما بين الحكومات والشعوب، والقوة الإمبريالية التي تتمتع بتفوق في المجال التقني واستخدام أحدث الوسائل التكنولوجية خاصة في مجال الاتصالات، لتحوز زعامة العالم بفضل تفوقها التقني هذا.

أما تأثير العولمة المعلومي، والذي يتمثل في زيادة قدرة الدول التقنية في ضخ كمية أكبر من المعلومات للمناطق البعيدة والقريبة على حد سواء، عبر وسائل اتصال تعتمد التقنية المعتمدة على الألياف البصرية والأقمار الاصطناعية و الإنترنت وغيرها من وسائل الاتصال الذكية.

أما تأثير العولمة على المستوى الاجتماعي، وهو التأثير الذي أخذ دوره يستفحل، وأمره يتعاظم،

* العولمة مصطلح يشير إلى تلك العملية التي يتم فيها تحويل الظواهر المحلية أو الإقليمية إلى ظواهر عالمية. وهي أيضًا عملية يتم من خلالها تعزيز الترابط بين شعوب العالم في إطار مجتمع واحد تتضافر جهوده وتتكامل رؤيته حول قضايا الطارئه وحتي الكامنة التي تحركها آليات المجتمع المدني والاليات الأخري. وللعولمة إبعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وتقنية والتي تتمثل في الانتشار الكثيف لشبكات التواصل المعلومية والاجتماعية، والاستخدام الواسع لوسائل التواصل التكنولوجي.

خاصة بعد دخول التواصل الاجتماعي عبر الفيس بوك والتويتر وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي، التي ألغت نظم التواصل التقليدية وقللت من حجم إسهاماتها حتى وسط المجتمعات المدنية بصورتها التقليدية لتحل محلها شبكات الاتصال الإلكترونية التي خلقت ثورة في مجال التواصل السيو اجتماعي الذي يلعب الدور الحاسم في عمليات الإصلاحات الديمقراطية في المنطقة.

ثانيًا– منظمات المجتمع المدني :

كانت بدايات المجتمعات المدنية بقيام المنتديات الاجتماعية العالمية مثال المنتدى الاجتماعي العالمي الأول في عام ٢٠٠١م، الذي أصبح فيما بعد اجتماعًا دوريًّا بلغ حضور آخرهم ٧٥٠٠٠ مشاركًا،(١) وتعد منظمات المجتمع المدني(٢) الوليد الشرعي لهذه المنتديات الاجتماعية، والتي تشمل الجماعات المجتمعية، المنظمات غير الحكومية، النقابات العمالية، منظمات الشعوب الأصلية، المنظمات الخيرية، المنظمات الدينية، الروابط والمؤسسات المهنية، وتقوم كثير من هذه المنظمات بدور مهم في مكافحة الفقر والجوع، وكثيراً ما يكون لموظفيها الميدانيين الذين يعملون بصورة وثيقة مع جماعات الهامش، الفضل في تحقيق نجاحات كبيرة عزيت إلى كونها منظمات تعمل خارج نطاق الحكومات، إذ يمكنها اتخاذ مواقف انتقادية صريحة من الحكومات.

شهد العقد الفائت من القرن العشرين توسعًا كبيراً في عمل منظمات المجتمع المدني في جميع أنحاء العالم تقريبًا، ساعد في هذا التمدد ثورة التقنيات الحديثة، وشبكات الإنترنت وحركات المدونين الآخذة في التمدد والانتشار. ووفقًا لحولية المنظمات الدولية، فقد زاد عدد المنظمات غير الحكومية الدولية من ٦٠٠٠ عام ١٩٩٠م إلى ما يزيد على ٥٠ ألفًا عام ٢٠٠٦م. كما اتضح جليًّا تأثير

(1) لمزيد من التفاصيا انظر المنتدى الاجتماعي ال («المنتدى الاجتماعي الأوروبي (European Social Forum) والمنتدى الاجتماعي الآسيوي (Asian Social Forum) والمنتدى الاجتماعي الأفريقي والمنتدى الاجتماعي العالمي «المنتدى الاجتماعي العالمي» World Social Forum).

(2) تبنى البنك الدولي تعريفًا للمجتمع المدني أعده عدد من المراكز البحثية الرائدة: «يشير مصطلح المجتمع المدني إلى المجموعة واسعة النطاق من المنظمات غير الحكومية والمنظمات غير الربحية التي لها وجودٌ في الحياة العامة وتنهض بعبء التعبير عن اهتمامات أعضائها وقيمهم أو الآخرين، استنادًا إلى اعتبارات أخلاقية أو ثقافية أو سياسية أو علمية أو دينية أو خيرية. ومن ثم يشير مصطلح منظمات المجتمع المدني إلى مجموعة عريضة من المنظمات، تضم: الجماعات المجتمعية المحلية، والمنظمات غير الحكومية ، والنقابات العمالية، وجماعات السكان الأصليين، والمنظمات الخيرية، والمنظمات الدينية، والنقابات المهنية، ومؤسسات العمل الخيري». لمزيد من التفاصيل ارجع لمقال بعنوان البنك الدولي تعريف المجتمع المدني، أغسطس/آب 2010، www. albankaldawli.org

منظمات المجتمع المدني في تشكيل السياسات العامة على مستوى العالم خلال العقدين الماضيين من القرن العشرين، ويبدو هذا النشاط واضحًا من خلال الحملات الدعائية الناجحة التي تدور حول قضايا بعينها مثل حظر زراعة الألغام الأرضية وإلغاء الديون وحماية البيئة، والتي نجحت في حشد آلاف المساندين من شتى أنحاء المعمورة، وأخيراً سياسة الإصلاحات الديمقراطية خاصة في المنطقة العربية والشمال الأفريقي التي تجد الدعم والمساندة من هذه المجتمعات.

يتضح ذلك جليًّا في اللقاءات الرسمية التي يعقدها المسؤولون الحكوميون مع ممثلي المنظمات المدنية، كما جاء في اللقاء الذي عقده رئيس مجلس النواب الأردني فيصل الفايز مع وفد ائتلاف منظمات المجتمع المدني الأردني برئاسة رئيس اتحاد المرأة الأردنية آمنة الزعبي، والذي أكد فيه «أن عملية الإصلاح التي ينتهجها الأردن انبثقت بداية من الرغبة الملكية، مبينًا أن هناك إرادة سياسية واضحة للانطلاق بشكل جدي في عملية الإصلاح السياسي والاقتصادي كأولوية من أولويات الوطن في هذه المرحلة، وخاصة قانون الانتخاب والقوانين الناظمة لعملية الإصلاح السياسي»(١) ولفت الانتباه الي أهمية مؤسسات المجتمع المدني في إحداث أية عملية إصلاح، باعتبارها شريكة مع الدولة، مشددًا على أن مسيرة الإصلاح قد بدأت فعلاً ولا بد من مراعاة التدرج والانتقال فيها بخطى ثابتة ورزينة.

وعلى صعيد المشاركة السياسية في أحداث المنطقة العربية الأخيرة، يتضح دور منظمات المجتمع المدني المؤازر والمعضدد لدور روابط أعضاء شبكات الإنترنت والفيس بوك والتويتر وغيرها من شبكات التواصل المجتمعي، حيث أوضح خبر على موقع الجنوب الحر اليمني(٢)، أن الشبكة تضم ٦٩٦ منظمة من ١٤ دولة عربية تتضامن مع الثورتين الشعبيتين في تونس ومصر، وتؤكد هذا الدور رئيسة لجنة مؤسسات المجتمع المدني في مجلس محافظة بغداد السيدة عائشة غزال المساري التي تقول إن «منظمات المجتمع المدني تعد حجر الزاوية في النضال الشعبي من أجل

(1) صحيفة الرأي الأردنية، مقال بعنوان، الفايز يؤكد أهمية مؤسسات المجتمع المدني في إحداث الإصلاح، .http://www.alrai com/pages.php?news_id=385922

(2) شبكة الجنوب الحر الإخبارية، خبر تحت عنوان منظمات المجتمع المدني العربية الموقعة أدناه والمكونة من 696 من منظمات المجتمع المدني العربية، السبت 19 فبراير 2011 2011-09-02 10:2 http://www.algnoubal

إقامة مجتمع أكثر مدنية وحرية ورفاهية وعدالة، وهي تلعب الدور الثاني بعد دور الحكومة في التعبئة الشعبية لتحقيق مهمات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتأمين حياة لائقة للمواطن ويمكن أن تساهم في إعادة بناء الفرد والمجتمع وزرع الثقة في نفسه وتنشر مبادئ العمل الإنساني والخيري»(١).

مسيرة الانتقال من المجتمعات المدنية إلى عصر شبكات المجتمعات الافتراضية(٢):

بعد انتهاء العقد الأول من الألفية الثالثة, حدثت مراجعات لمفاهيم كثيرة، من بينها مفهوم العلاقة بين الديمقراطية والمجتمع المدني، نتيجة لدخول عدد مقدر من مستخدمي الإنترنت كمتغير السيو اجتماعي الجديد، مما يحتم تأثيره الكبير على سير العملية الديمقراطية في المنطقة العربية، نتيجة لما أتاحه من حريات غير مسبوقة في فضائه الافتراضي، تأثير آخر لا يقل أهمية عن المجتمعات المدنية، نتج عن تحول قطاع واسع من المجتمع ودخوله عالم الإنترنت الافتراضي.

هذا التصاعد الكبير في أعداد مستخدمي الإنترنت وحلقات التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت(٣)، يجعل دراسة أثر المعطي الرّقميّ على متغيري الديمقراطية والمجتمع المدني الناتج عن انخراط الشباب بكم كبير في المجتمعات المدنية المتحولة إلكترونيًّا أمراً مهمًا، يرافق ذلك تحول الرؤية المفاهيمية للديمقراطية التي تحولت بدورها بفضل هذا التحول الرّقميّ إلى ديمقراطية رقمية تحمل ذات المضامين القديمة وإن تغيرت المواعين الحاملة لها والمعبرة عنها.

---

(١) صحيفة المدى العدد ٢٠٤٨،تحقيق بعنوان منظمات المجتمع المدني..غياب الوعي والحاجة، تحقيق: فاضل .HYPERLINK «http://www
HYPERLINK «http://www.almadapaper.net/news. ،٢٠١١/٠٢/١٩ السبت «٣٥٤٨٨=almadapaper.net/news.php?action=view&id
٢١٣٢٠=http://www.almadapaper.net/news.php?action=view&id «٢١٣٢٠=php?action=view&id

(٢) < الجزائر ١٨,٣٠ ملايين ٦,٢٪ ٦٠ ،السودان ٤,٠١ مليون ٧,٦٪ ، السعودية ٩,٢٧ مليون ٣٤,٧٪ ، العراق ٣,٢٢ مليون ١٢٪ ، الإمارات ١,٧٧ مليون ٣٥,٣٪ ، سورية ١,٩ مليون ٥,٩٤٪ ، تونس ١,٨٧ مليون ١٣,٧٪ ، الكويت ٧٢٤ ألف ٢٦,٢٪ ، الأردن ٦٩٤ ألف ١٢,٩٪ ، لبنان ٦١٧ ألف ١٥,٨٪ ، اليمن ٣٣٧ ألف ١,٣٪ ٦٠ ، عمان ٢٨٨ ألف ١٠,٢٪ ، فلسطين ٢٤٦ ألف ٧,٩٪ ، قطر ٢٢٢ ألف ٢٨,٣٪ ، ليبيا ٨٥١ ألف ١٣,٨٤٪ ، البحرين ١٥٧ ألف ٢١,٢٪، الصومال ٩٠ ألف ٠,٧٪ ،موريتانيا ٢١,٧ ألف ٠,٩٪ ،جيبوتي ١٠ آلاف ١,١٪ ، مصر [٥] ١١,٤٨ مليون ١٥,٦٪ ، المغرب [٦] ١٤,٢٧ مليون ٤٢,٨٪... العدد التقريبي نسبة عدد المستخدمين للسكان سعر الربط بالساعة العملة المرجعية ر س ، لمزيد من التفاصيل ارجع «http://ejabat.Fthread HYPERLINK٪٢Ftid٪٣D٥e bf٢b٧٢٢fe٠dd٩c» الإبلاغ عن إساءة الاستخدام ، ٢٠١٠/٠٣/٢٥ ٠٤:٤٠:٥١ م، .http://ejabat.google ejabat.google.com/ejabat/thread?tid» com/ejabat/thread?tid

(٣) < يشير مصطلح المدوّنين إلى الأشخاص الذين يكتبون المدوّنات وينفذون برامج التدوّين، ويشار إلى عالم المدوّنات بالمجتمع الذي يربط كل من المدوّنين والمدوّنات المتاحة على الإنترنت في أجزاء العالم كله، ولأن أدوات التدوّين بسيطة ومتاحة ومجانية فإن المستخدمين يستطيعون الاتصال بسهولة مع الآخرين في شبكاتهم الاجتماعية ومجتمعاتهم الجغرافية، حيث تمثل المدوّنات أنظمة اجتماعية منظمة ذاتيًّا تساعد الأفراد على التفاعل من خلال المشاركة والتعلم عبر تبادل الأفكار والمعلومات، فضلاً عن حل المشكلات الاجتماعية والسياسية، ومن أهم ما يميز المدوّنات أنها توفر حالة من التفاعلية غير الموجودة في وسائل الإعلام الأخرى، إذ تسمح المدوّنات لقرائها بالتعليق على ما يطرحه المدون من رؤى وأفكار وموضوعات بشكل آني دون قيود. ظهرت المدوّنات في عام ١٩٩٧م، وكان جون بارغر هو أول من صاغ هذا المصطلح، إلا أن المدوّنات لم تنتشر على شبكة الإنترنت إلا بعد العام ١٩٩٩م، إذ بدأت خدمة الاستضافة في السماح للمستفيدين بإنشاء المدوّنات المختصة بهم بصورة سريعة وسهلة نسبيًّا، وذلك عندما طوّر بيرا لابس برنامجًا مختصًا بالتدوّين وجعله متاحًا مجانًا لمستخدمي الإنترنت، مما أتاح لأي فرد إمكانية الدخول على موقع إلكتروني معين، ومنها (.www.blogpulse «www.blogpulse.com HYPERLINK «http://www.blogger.com, www.blogger.com «http://www.blogger.com HYPERLINK «http://www.technorati.com , HYPERLINK «http://www.technorati.com٪٢٩٪D٨٪8C»،، وطبقًا لمعظم التقديرات المختصة بتأريخ التدوين عدّت أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ هي السبب الرئيس وراء تحول الأفراد إلى ظاهرة التدوّين على شبكة الإنترنت، إذ اتجه بعضهم للتدوّين لسببين يرجعهما باحثون إلى التعبير عن مشاعر المدوّنين تجاه الهجمات التي تعرضت إليها الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الأحداث، فضلاً عن الوصول إلى المعلومات التي تحجبها عنهم وسائل الإعلام التقليدية..

إذًا إعادة النظر والتجديد الفكري في قضايا الساعة تعد السمة المميزة لفترة ما بعد التعاطي التقليدي للخطابات الأيدلوجية التقليدية، حيث أصبحت الساحة الفكرية والسياسية تخضع للمراجعة النقدية للمثلث الذهبي : الثورة الرّقميّة, الديمقراطية والمجتمع المدني، الذي اتضح بجلاء عمق جدية العلاقة بينها رغم ظهور آلية جديدة للاجتماع الإنساني ابتكرت في ظل مرحلة ما بعد العولمة وظهور المجتمعات المدنية التقليدية.

إن طرح قضية إعادة النظر في مثلث الديمقراطية والمجتمع المدني وظهور المجتمعات الرّقميّة, قضية أملتها التطورات التكنولوجية المذهلة والمتسارعة التي مهدت لها سياسات العولمة وبروز المجتمعات المدنية, والتي أتاحت الفرصة إلى هيمنة وسائل الإعلام الجديد من خلال تغلغل مصالح وقوى سياسية واقتصادية خارجية، وقوى حديثة داخلية، تحمل أفكاراً خاصة بها تسببت في تعرض الفكر التقليدي للديمقراطية لمخاطر وهزَات لم تكن متصورة من قبل.

إن ظهور قوى حديثة تزامنت معها بروز طرق جديدة وقوية للتعبير والسيطرة الاجتماعية, أضحت تشكل تحديًّا رئيسًا أكد قدرة المجتمعات المدنية الإلكترونية على مقابلة القوة التقليدية في إحداث العصف بالأفكار والمعطيات الجديدة التي يجب أن تستوعبها الحكومات العربية إن أرادت المواكبة للمتغيرات الجديدة، ولعل نظرة واحدة للأوضاع الحادثة بالمنطقة العربية تكفي لإدراك مدى قدرة هذه المجتمعات الرّقميّة الآخذة في الظهور والتكوين، على إحداث هزات عميقة في جسم مجتمعات هذه المنطقة، بل وعلى إحداث ظهور مضامين جديدة يجب أن تستوعبها ديمقراطيات ما بعد الثورة الرّقميّة.

فاستخدام الإنترنت في المنطقة العربية والشمال الأفريقي أدى إلى تأثيرات واضحة في تشكيل رأي عام عربي جديد شكلته آلية انتقال المعلومة والصورة الرّقميّة عبر آلية الإنترنت التي تعد حاملة جيدة وموصلة خارقة لجينات الثورات المجتمعية على أنظمة الصفوة الحاكمة.

لقد تفاجأ العالم باحثوه ودارسوه، وحتى مراكز بحثه الإستراتيجي والمعلومي، بما أحدثة التواصل الإلكتروني بين شعوب المنطقة العربية خاصة، التي تجاوزت مرحلة الصدمة الإلكترونية والانبهار بالواقع الافتراضي، إلى توظيف آلية التواصل هذه للتعامل مع الواقع الحقيقي لبلدان المنطقة العربية، متجاوزة بذلك مرحلة الصدمة وحتى مرحلة التفوق الرّقميّ بين الشعوب الغنية والفقيرة، فهل يمكن القول: إن علاقة مجتمع المعلومات حول قضايا الإصلاح الديمقراطي علاقة مفصلية أم علاقة جدلية تحكمها صيغة الخادم بالمخدوم؟

وستتم مناقشة هذه الحالة وفق المقاربات التالية:

الخطاب الرّقميّ المتداول بين المجتمعات العربية، الذي ألغى سياسات الحجب والمنع والحظر وتكميم الأفواه الذي كان سائدًا ثم أصبح بائدًا، يعبر عن ذلك الحمولة العالية لشبكات التواصل الاجتماعي العربي التي أخذت تضيق ذرعًا، وتشكو مرًا، من هذه التبعات الماضوية التي لم تراعِ منتج المعارف الرّقميّة الجديدة ولا تصلح كخطاب يوجه لمجتمع ما بعد العولمة، الذي شكلتهَ الشبكة العنكبوتية التي نجحت في خلخلة المعطيات القديمة وولدت توقعات جديدة، شوشت الرؤية على آليات الفهم والتحليل، التي سيطرت على المنظومة العربية وخلقت حالة من الاضطراب الفكري واللاتوازن في حساب ما هو آني وما هو آتي.

المنظور السياسي الحديث المرتبط بمفهوم التواصل الرّقميّ والذي ولد إحساسًا عميقًا بخطورة العولمة التي ولدت انفلاتًا جماهيريًّا وتمردًا شعبيًّا على سلطة الدولة التقليدية، والتي تولد عنها رقمنة الحياة السياسية العربية وتشكيل وحدة عربية ذكية تجاه القضايا الكبرى، وخلق رأي عام افتراضي عربي يبشر بإعادة التفكير العربي حول قضايا الوحدة العربية التي عجزت عن تحقيقها المجتمعات العربية التقليدية والدولة العربية الصفوية.

ولد الإحساس المحدود لدخول متغير التكنلوجيا الرّقميّة الحياة السياسية العربية من أوسع أبوابها الشعور بالخطر لدى القيادات العربية – غير الديمقراطية– مما دفعها للتفكير مليًّا في السيطرة والتحكم في الفضاء الافتراضي لإلحاقه بالفضاء الجغرافي المتحكم فيه اتضح ذلك بجلاء في قمة تونس العالمية لمجتمع المعلومات والتي نظمتها الأمم المتحدة في ١٦–١٨ نوفبر ٢٠٠٥م حيث أثارت القمة بوضوح قضية التحكم بمستقبل الإنترنت الموجود حاليًّا تحت السيطرة الكاملة للولايات المتحدة، يقابل ذلك شوق عربي جماهيري يحلم باحترام حرية التعبير وخلق وحدة عربية افتراضية إن لم تكن وحدة على أرض الواقع.

وبالرغم من الانتشار النسبي لمستخدمي الإنترنت في العالم العربي حيث لا يتجاوز عدد مستخدمي الإنترنت في العالم العربي ١١ مليونًا و٧٥٥ ألف شخص بحسب إحصاءات الاتحاد الدولي للاتصالات(١)، ويظهر أن الحديث عن «الهوة الرّقميّة» واعتبار الخطاب الرّقميّ سيبقى عديم الأثر إلى فترة ليست بالقصيرة في عالمنا العربي، أكدت عدم صحته التطورات السياسية الأخيرة التي لعب فيها الإنترنت العامل الحاسم، وأن الحديث عن التهميش الرّقميّ بتأثيراته على البنيات التحتية والاجتماعية كذبته المشاركات الشعبية–الرّقميّة الواسعة المطالبة بالإصلاحات الديمقراطية والتشريعية في مصر وتونس وليبيا واليمن وغيرها من بلدان المنظومة العربية.

لقد ظل كم مقدر من الفئات الاجتماعية العربية، خاصة من فئة الشباب(٢) يعيش في عوالم افتراضية مرتبطة بالواقع ومعبرة عنه، وفي ذات الوقت متغلبة على مشكلاته المقيدة لحريات التنقل والتعبير عن الرأي حول القضايا المطروحة.

اكتسب تعامل الشباب مع الإنترنت والمواقع الاجتماعية له حالة من التفاعل الافتراضي، هذا التفاعل أنتج مفردات جديدة ومفردات وأفكار سهلة التطواف بها من منتدى إلى آخر، عبر حوارات ولقاءات عربية عالمية وإقليمية .

أصبح ارتباط الشباب بهذه المواقع لا يمكن تفسيره إلا من خلال دراسات معمقة في علم الاجتماع الرّقميّ وعلم النفس الافتراضي، المرتبط بالشخصية العربية الافتراضية وسلوك الفرد الرّقميّ الذي لا تتساوى مع حياة الإنسان التقليدي.

---

(١) أكد المشاركون في المؤتمر العالمي لتنمية الاتصالات ٢٠٠٦ الذي اختتم أشغاله بالدوحة بتأريخ ١٥ مارس (آذار)" أن العالم العربي لا يزال من بين المناطق الأقل حظا في الثورة الرقمية العالمية، إذ لا تزيد نسبة مستخدمي الإنترنت فيه عن ٣,٧ في المائة رغم الإمكانيات المادية المهمة."

(٢) أصدرت كلية دبي للإدارة الحكومية مؤخراً تقريراً حول الإعلام الاجتماعي في العالم العربي تناول أرقامًا ودلائل حول نسبة انتشار الفيسبوك بالدول العربية ، وذكر التقرير أن عدد مستخدمي الفيسبوك في جميع أنحاء الوطن العربي في ديسمبر ٢٠١٠ بلغ ٢١ مليونًا و٣٦١ ألفًا ، بنسبة نمو بلغت ٧٨٪ عن العام الماضي، واحتلت دول الخليج المراكز الخمسة الأولى كأعلى الدول العربية – باستثناء لبنان – من حيث انتشار الفيسبوك.بينما احتلت فئة الشباب – بين سن ١٥ و ٢٩ – حوالي ٧٥ ٪ من مجموع مستخدمي الفيسبوك في المنطقة العربية. صحيفة الراية القطرية،٢٠١١-٠٢-٢١ HYPERLINK «http://www.raya.com/economy/enews/Pages/٢٠١١-٠٢-١٧-١٠٠٤/aspx» http://www.raya.com/economy/enews/Pages/٢٠١١-٠٢-١٧-١٠٠٤.aspx٠٣:٣٣:٥٥ الراية.

هذه المفرات الجديدة أدت لظهور حالة من الإرباك السياسي والاجتماعي لدى القيادة السياسية ، نتج عنه ضعف في تفسير التحولات الرّقميّة الجديدة وما صاحبها من ضوضاء ودهماء رقمية وأفكار وقيم تتحول وتتشكل بسرعة لتستلم ذمام المبادرة.

يعد من أبرز المؤشرات الاجتماعية والسياسية في العالم العربي والشمال الأفريقي، دعم الحكومات العربية لوثائق قمم المعلومية بالمنطقة العربية مثل مقررات وثيقة تونس التي أسهمت دون شك في خلق الوحدة العربية الإلكترونية المجتمعية المتفاعلة عبر الإنترنت والمواقع الاجتماعية.

المبحث الثالث
تزايد حركة النشر الإلكتروني في الفضاء الافتراضي العربي والشمال الأفريقي:

تزامن مع التطور التكنولوجي الهائل، تطور مماثل في الاتصالات، مما أدى لظهور ما يعرف بالإعلام البديل وأحيانًا أخرى يسمى الإعلام الجديد الذي تشكل المدونات(١)، والصفحات الاجتماعية على الفيس بوك، وتوتير وغيرها من المواقع أهم معالمه، حيث أصبحت هذه التقنيات الاتصالية توظف لخدمة قضايا حقوق الإنسان، وإجراءات قمع الحريات، وانتهاكات حرية الرأي والتعبير والشفافية والحكم الرشيد وغيرها من القضايا. فقد نجح هذا النوع من وسائل التواصل المجتمعي في كسر حاجز الاحتكار الذي كانت تضربه نظم سياسية غير ديمقراطية، وأصبح بإمكان الملايين من الراغبين في العالم استخدام هذا النوع من الاتصال السهل والميسور.

وحول أعداد مستخدمي الإنترنت في العالم العربي تشير الإحصاءات إلى أن عدد مستخدمي الإنترنت(٢) بلغ حوالي (١٢) مليون شخص حتى منتصف سبتمبر ٢٠٠٩(٣)، من جملة ما يزيد على المليار مستخدم للإنترنت في العالم حسب إحصائية أوردتها شركة «كومسور» الأمريكية المتخصصة في الدراسات التكنولوجية في العام ٢٠٠٨م(٤)، فيما أوردت إحصائية أخرى أن عدد مستخدمي الإنترنت العرب بلغ ٥٨ مليون مستخدم مؤخراً، فيما بلغ عدد مستخدمي الفيسبوك في العالم العربي نحو ١٢ مليوناً(٥).

---

(١) المدونات (blogs)، هي «صفحة إنترنت تحوي تدوينات (مضمون) مرتبة ترتيبًا تصاعديًّا، ومزودة بآلية لأرشفة البيانمات القديمة،ويكون لكل تدوينة عنوان دائم لا يتغير، مما يمكن القارئ من الرجوع إليها في وقت لاحق.

(٢) يبلغ عدد مستخدمي الإنترنت في العالم حسب آخر إحصائية١,٩٦٦,٥١٤,٨١٦ مستخدم، منهم :١١٠,٩٣١,٧٠٠ بأفريقيا، ٨٢٥,٠٩٤,٣٩٦ بآسيا، ٤٧٥,٠٦٩,٤٤٨ بأوربا، ٦٣,٢٤٠,٩٤ بالشرق الأوسط، ٢٦٦,٢٢٤,٥٠٠بأمريكا الشمالية، ٢٠٤,٦٨٩,٨٣٦بأمريكا الجنوبية، ٢١,٢٦٣,٩٩٠بأستراليا وجزر المحيطات- على المعطى الديمقراطي والمجتمع المدني؟

(٣) (١) مدونة بحرك يافا، محمد أبو علا، مقال بعنوان المدونات في العالم العربي أداة فاعلة للدفاع عن حقوق الإنسان، بتأريخ : ٢٠٠٩/٢٤/١٢ ٩:١١:٤٥ ١٩٤٨ http://yafa، elaphblog.com/posts.aspx?U.AM=A&٢٤١٦=٣٣٧٤٩

(٤) Masrawy.com, , الخميس٢٤-فبراير-٢٠١١، ٥:١٨:٠٠ pm http://www.masrawy.com/News/Technology/ internet-users.aspx/٢٥/january/٢٠٠٩/General

(٥) مدونة مطور، مقال بعنوان HYPERLINK «ا»الإنترنت١»... كرة ثلج ديمقراطية تهز العالم العربي» «الإنترنت»... كرة ثلج ديمقراطية تهز العالم العربي، html.http://www.mtwer.com/vb/t١٨٧٣٨

وأكد التقرير الذي يقع في ٢٣٥ صفحة، الذي تعده الشبكة العربية كمؤسسة عربية متخصصة في الدفاع عن الحرية أن الجزائر بها أكبر عدد لمقاهي الإنترنت والتي تقدر بحوالي ١٦ ألف مقهى ونواديًا للإنترنت، وأن أقل عدد لمستخدمي الإنترنت في موريتانيا والذي يقدر بنحو ٦٠ ألف مستخدم، وأن أكثر الدول استخدامًا لموقع «الفيسبوك» هي مصر ثم لبنان والجزائر، وكانت أعلى نسبة لعدد مستخدمي الإنترنت مقارنة بعدد السكان الإمارات(٢,٨٦) مليون مستخدم بنسبة تزيد على ٥٠٪ من إجمالي السكان، وانتهت الدراسة إلى أن أفضل التجارب لتجمّعات المدونين ونشطاء الإنترنت كانت في المغرب، أما أكثر الدول استخدامًا لموقع «يوتيوب» فهي مصر، وأن المدونات(١) تحتل موقعًا متقدمًا في مجال الإعلام الجديد، حيث تظهر الإحصاءات الواردة أن عدد المدونين بالعالم العربي بلغ ٦٠٠ ألف مدوّن حسب تقرير الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان الوارد بتأريخ ٢٦-١٢-٢٠٠٩م، وتحدثت الشبكة عن أربع من الأدوات والمواقع التي أجاد مستخدمو الإنترنت العرب -خاصة الشباب- استخدامها وهي «المدونات، الفيسبوك، تويتر، يوتيوب» في صراعهم لانتزاع حقهم في التعبير عن الرأي وفضح الفساد والقمع في العالم العربي، يؤكد ذلك ما نشرته الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان(٢) عن دور الإنترنت في دعم قضايا حقوق الإنسان في العالم العربي حيث أفردت في تقريرها بابًا كاملاً لموضوع المدونات، التي شبهتها «بكرة الثلج الديمقراطية» التي باتت تتحرك بقوة في العالم العربي دون أن يستطيع أحد أن يوقفها رغم سياسية حجب المواقع الإلكترونية التي تمارسها بعض الدول العربية، حيث أوضح التقرير أن أربع دول عربية من بينها مصر (مبارك) وتونس (ابن علي) تأتي من بين (١٢) دولة على مستوى العالم اعتبرتها منظمة «مراسلون بلا حدود» بأنها دول عدوة للإنترنت خلال العالم(٣) ، وأوضح تقرير الشبكة العربية بأن الفتاوى الدينية تخرج في كثير من الأحيان في إطار التضييق على الحريات في العديد من الدول العربية، ، وأن مصر وتونس من أكثر الدول قمعًا لمستخدمي الإنترنت في العالم العربي حيث صدر أول حكم قضائي بالسجن على مدون مصري عام ٢٠٠٧م بتهمة التحريض على الكراهية وإهانة الرئيس المصري، وقد عبرت الكثير من المؤسسات الحقوقية

---

(١) ولمعرفة أهمية موقع مثل «الفيس بوك» يكفي أن نذكر ما ورد بصحيفة «نيويورك تايمز» في تقرير حول الموقع بقولها «لو كان الفيس بوك دولة لأصبحت رابع دولة في العالم، ويحكمها شاب عمره ٢٥ عامًا».

(٢) ٢٠٠٠ /wordpress.com.Dhttp://toqtoq

(٣) مدونة بحرك يافا،مقال بعنوان المدونات في العالم العربي أداة فاعلة للدفاع عن حقوق الإنسان، كتبها : محمد أبو علان، بتأريخ٢٠٠٩/٢٤/١٢ : ، الزمن٩:١١:٤٥ HYPERLINK «http://yafa١٩٤٨ elaphblog.com/posts..AM، ٣٣٧٤٩=A&٢٤١٦=aspx?U.http://yafa١٩٤٨ «٣٣٧٤٩=A&٢٤١٦=elaphblog.com/posts.aspx?U

في حينها عن قلقها الشديد لحرية النشر في مصر(١).

إن الإنترنت بما يقدمه من تدفق هائل للمعلومات والتي يتبادلها قطاع الشباب العربي على وجه التحديد، باعتبارهم من أكثر القطاعات الشعبية ممارسة للإنترنت، ولما يحمله الشباب من حماسة ونشاط وروح المبادرة، أصبح هذا القطاع من الشركاء الأساسيين في صناعة التغيير في المنطقة العربية ، ولعبوا دوراً مهمًا وجذريًّا في إحداث تغيير مهم في جوانب مختلفة من الحياة اليومية للمواطن العادي، سواء أكان تغييراً سياسيًّا أم اجتماعيًّا أم ثقافيًّا وذلك بعد تمكنهم من نقل مطالب التغيير من العالم الافتراضي إلى العالم الواقعي ، ونجاحهم في رفع هامش حرية التعبير بكسرهم حاجز الخوف لدى عدد كبير من مستخدمي الإنترنت، وتشجيعهم على المشاركة الإيجابية من أجل التغيير

الشباب في الدول العربية تكهنوا بدور الإنترنت في إحداث التغيير قبل وقت طويل حيث جاء ذلك واضحًا في تقرير الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان التي أصدرت تقريرها المهم عام ٢٠٠٩م بعنوان « شبكة اجتماعية واحدة ، ذات رسالة متمردة» والذي جاء في مقدمته « فلم تكد الحكومات العربية تفيق وتلتقط أنفاسها مما سببه لها المدونون(٢) من صداع مزمن ، حولهم لشوكة في حلقها ، حتى فوجئت بوسيلة أخرى أتاحتها لهم شبكة الإنترنت، وهي الفيس بوك. هذا الموقع الذي لم يدر بخلد مبتكريه أنه سوف يتحول لأداة هائلة وطيعة بيد نشطاء الإنترنت العرب يسخرونه لدعم حقهم في مجتمعات ديمقراطية .

ويذكر التقرير أنه بالرغم من أن عدد المهتمين بالشؤون السياسية من مستخدمي الإنترنت في العالم العربي بضعة آلاف من النشطاء والمدونين ، من جملة مستخدمي الويب في العالم العربي ،إلا أن هؤلاء النشطاء والمدونين على قلة عددهم ونسبتهم المحدودة مقارنة بعدد المستخدمين ، قد نجحوا تمامًا في تسليط الضوء على العديد من القضايا السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية المهمة

---

(١) منتديات اليسير،مقال بعنوان الإنترنت»... كرة ثلج ديمقراطية تهز العالم العربي، http://www.alyaseer.net/vb/showthread.php?t=٢١٩٧٨

(٢) < في العام ٢٠٠٤م نشر صاحب مدونة PowerLine تقريراً حول وثائق ذات صلة بخدمة الرئيس بوش العسكرية ثم سريعًا أشار أكثر من ٥٠٠ موقع آخر إلى ما نشرته مدونتة ومن ثم بدأ الحديث عن هذه المدونة في الإعلام الأمريكي وعده بعضهم مثالاً جيدًا على قوة المدونات، وهناك من اعتبر هذه الحادثة بداية النضج للمدونات الأمريكية، ومن وقتها صار كتاب المدونات في الولايات المتحدة قوة إعلامية مؤثرة في القرارات بشكل كبير ففي ديسمبر ٢٠٠٢م على سبيل المثال اضطر ترينت لوت، قائد حزب الأغلبية في مجلس الشيوخ الأمريكي، إلى الاستقالة من منصبه، بسبب تعليقات قالها في احتفال ولم تكترث لها وسائل الإعلام، ولكن تلك التعليقات لم تمر بسلام بالنسبة للمدونين، فتحولت غلطة ترينت لوت إلى فضيحة بفضل كتابات الخبراء فى مجال الإعلام والتدوين... ارجع ://:http nagy-elsonbaty.maktoobblog.com

ونجحوا أيضًا في كسب شعبية الناس وزيادة عدد المتابعين لصفحاتهم.

وحول توزيع خريطة المدونات في العالم العربي نشر مركز بركمان للإنترنت والمجتمع في جامعة هارفرد الأميركية تحليلاً للمدونات العربية، دراسة حول آراء المدونين العرب في الشرق الأوسط حيال الإعلام، السياسة، الدين، الثقافة والقضايا الدولية، وقد حدد الباحثون القيمون على الدراسة ٦٠٠٠ مدونة عربية، وأظهرت الدراسة أن المدونين العرب في المقام الأول من الشباب الذكور، وأضافت الدراسة أن معظم المدونات العربية تأتي على شكل مذكرات، وتضم أخباراً وملاحظات شخصية عن الحياة اليومية. لكن حين يتعلق الأمر بالسياسة(١)، فقد شكلت القضية الفلسطينية مركز اهتمام المدونين العرب المهتمين بالجانب السياسي(٢).

وتشير الإحصاءات إلى أن عدد المدونات بجمهورية مصر بلغت ١٦٠ ألف مدونة تمثل ٣٠,٧٪ من مدونات العرب و ٠,٢٪ من المدونات في العالم(٣) وأن معظم المدونين من الفئة العمرية من ٢٠ . ٣٠ سنة، وتضم عددًا من المجموعات الفرعية، مثل المدونين المنتمين إلى الإخوان المسلمين الأكثر نشاطًا على الشبكة.

كذلك تضم مصر أكبر عدد من النساء المدونات، رغم أنهن يملن إلى الكتابة من دون ذكر هويتهن، وأن عدد مستخدمي الإنترنت في مصر في ارتفاعٍ ملحوظٍ، وتأتي المدونات السعودية في المرتبة الثانية من حيث عدد المدونين فيها، لكن في المملكةً يميل المدونون إلى مناقشة المواضيع التكنولوجية أكثر من السياسية، فيما تشكل مجموعة «جسر المشرق– الإنكليزي»، المكونة من مدونين يقيمون في منطقة المشرق، وتضم لبنان، فلسطين، الأردن وسورية، ومدونين عراقيين، وينضم إليهم ما يسمى بـ«مدوني الجسور» من مختلف أنحاء العالم الذين يكتبون بالإنكليزية، حيث توضح الدراسة أن هذه المجموعة تتناول مواضيع مختلفة وتهتم بالأخص بالقضايا الدولية، ثم تأتي مجموعة (جسر المغرب– الفرنسي)، التي تضم بالأساس مدونين من المغرب، ثم مجموعة

---

(١) يذكر التقرير أنه بالرغم من أن عدد المهتمين بالشؤون السياسية من مستخدمي الإنترنت في العالم العربي بضعة آلاف من النشطاء والمدونين ، من حوالي ٥٨ مليون مستخدم للإنترنت في العالم العربي ،إلا أن هؤلاء النشطاء والمدونين على قلة عددهم ونسبتهم المحدودة مقارنة بعدد المستخدمين ، قد نجحوا تمامًا في تسليط الضوء على العديد من القضايا السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية المهمة ونجحوا أيضًا في كسب شعبية الناس وزيادة عدد المتابعين لصفحاتهم...لمزيد من التفاصيل ارجع لموقع نساء عمان مجلة ثقافية شهرية إلكترونية، مقال بعنوان الفيس بوك ...والشباب...والتغيير ٢–٣ بقلم .HYPERLINK «http://nesaaoman.net/author aspx?Aval=١١» أميرة الطالعي، ٢٠١١–٠٢–٠٥، http://nesaaoman.net/disArticle.aspx?Aval=٢٤٦

(٢) المصدر: موقع «منصات الجمل HYPERLINK «http://www.aljaml.com/node/٤٧١٠٨» http://www.aljaml.com/node/٤٧١٠٨٢٠٠٩–٠٧–٠١ ٠٥:٢٠

(٣) خبر بعنوان تقرير رسمي مصري: لدينا ١٦٠ ألف مدونة تمثل ٣٠,٧٪ من مدونات العرب صحيفة الشرق الأوسط، ٦ يوليو ٢٠٠٨ العدد ١٠٨١٣

(التركيز على الإسلام) التي تركز على قضايا الدين.

فيما صنف تقرير عربي حديث نسبة مستخدمي خدمة الانترنت ومشتركيها في اليمن(١) ضمن أضعف النسب المسجلة في العالم العربي على الرغم من أن عام ٢٠٠٩م شهد تطوراً كبيراً في مجال الاتصالات في اليمن(٢)، وحسب التقرير الإحصائي فقد ارتفع عدد مقاهي الإنترنت في مختلف محافظات الجمهورية من ٩٨٩ مقهى في ٢٠٠٩م إلى ١٠٠٤ مقهى العام ٢٠١٠م، وأشار التقرير إلى أن عدد المواقع المستضافة في البوابة اليمنية للإنترنت (يمننت) بلغت ٦٢٧ موقعًا .. فيما بلغ عدد الجهات المرتبطة عبر القنوات المؤجرة لأغراض الإنترنت ١٣٩ جهة، وبلغ عدد النقاط الفرعية المرتبطة عبر القنوات المؤجرة لأغراض نقل المعلومات ١٣٨٦ر١ نقطة (٣).

أما في الكويت فقد أوضحت وزارة المواصلات أن عدد المشتركين في خدمة الإنترنت بلغ مليون شخص بنهاية عام ٢٠١٠م، ويعد استخدام شبكة الإنترنت أمراً مهمًا للكثير من الكويتيين، وعلى وجه الخصوص بين الشباب، وأصبحت مصطلحات مثل بريد إلكتروني email، يوتيوب You Tube، وتويتر Twitter، وفيس بوك Face book، وغيرها من المصطلحات الشائعة بين الكويتيين(٤) .

وفي دراسة لمحتوى المدونات العربية ومضمونها ، خلصت دراسة إلى أن عدد مدونات الخليج العربي الأقل رواجًا بينما تعد المدونات الأكثر رواجًا في العراق مروراً ببلاد الشام ومصر

---

(١) دخلت خدمة الإنترنت اليمن في العام ١٩٩٦م.

(٢) مقال بعنوان الإنترنت في اليمن... احتكار وشيطنة ومخاطر صحفية, ١٠ – ١ – ٢٠١٠ الساعة: ٨:٥٠ صباحًا بتوقيت مكة المكرمة، http://www. «HYPERLINK «http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=pg&٣٣٥٠١٠=١ http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=pg&٣٣٥٠١٠=١

(٣) نبأ نيوز، مقال بعنوان ارتفاع عدد مشتركي خدمة الإنترنت باليمن لأكثر من نصف مليون، الخميس, ٢٤–فبراير–٢٠١١ – ١٥:٥٧:٢٩ http://www.nabanews..٣٤٦١٦/٢٠٠٩/HYPERLINK «http://www.nabanews.net html» html.٣٤٦١٦/٢٠٠٩/net

(٤) جريدة القبس الكويتية، الأربعاء ١٦ فبراير ٢٠١١ ,١٤ ربيع الأول ١٤٣٢ , العدد ١٣٥٤٩، http://www.alqabas.com. id=٦٧٧٢٣٧&date=١٦٠٢٢٠١١

وليبيا والجزائر والمغرب. ويطلق الباحث على مدونات المغرب، ومصر والعراق والجزائر والأردن وليبيا وسورية بالمدونات الجاذبة للقراء(١). أما في عمان فتشير الإحصاءات إلى ارتفاع عدد المستخدمين للإنترنت.

أما عن حالة التدوين(٢) في سورية فتشير الدراسة إلى أن المدونين السوريين هم الأقل ميلاً إلى دعم الزعماء السياسيين مقارنة بغيرهم ، وتضم سورية إلى جانب مدوني الإخوان المسلمين أكبر عدد من المدونين الذكور. ورغم أن الدراسة تستنتج أن التدوين بدأ يؤثر بفاعلية على الشرق الأوسط، لكنها تؤكد أن التدوين أو ما يسمى (ناشطي الكنبات)، لن يحدث التغيير السياسي وحده. فيما يذهب آخرون للقول بأن موقع الجزيرة هو أهم مصدر للمعلومات الصحفية في عالم التدوين العربي، يليه موقعا (بي بي سي) والعربية نت، مع ذهاب الدراسة للقول بوجود مواقع إلكترونية ومدونات متطرفة في عالم المدونات العربي.

وقفة حول مضامين المدونات العربية فيما يتعلق بقضايا التحول الديمقراطي بالمنطقة العربية:

بقي الإعلام العربي بعيداً عن دراسة مضامين المدونات التي أصبحت الظاهرة الإعلامية الأهم على شبكة الإنترنت، إلا أن البحوث والدراسات الإعلامية العربية لم تبحث في تلك الظاهرة الاتصالية بالشكل الأمثل، ففي الوقت الذي تم فيه إحصاء(٦٠٠) ألف مدونة عربية، فإن تلك المدونات لم تجرَ عليها بحوث تحليل مضمون معمقة بالشكل الذي تتطلبه هذه الظاهرة الآخذة في التطور والزيادة.

ففي دراسة لمضامين المدونات العربية تم إجراء دراسة أولية تحت عنوان «مضامين المدونات العربية» عكست الدراسة مدى اهتمام مجتمع المدونين العرب بقضايا التدوين والعمل على تطوير مضامينه(٣) ، من خلال اختيار موقع مكتوب كمجتمع بحث، ولهذا الغرض يتم أخذ عينة عشوائية منتظمة من المدونات التي تنشأ في الموقع لمدة ستة أشهر تبتدأ من الأول من شهر تموز وحتى

---

(١) ، دراسة موسعة عن التدوين والمدونات، مجلة التدوين العربي ، توفيق التلمساني. ،١٩ سبتمبر ٢٠٠٨ الساعة: ٢١:٢٧ م، http://failkhair.maktoobblog.com/» HYPERLINK «http://failkhair.maktoobblog.com/

(٢) في إحصائية عن عدد المدونات حول العالم وتوزيعها على الدول قام .HYPERLINK «http://www.blogherald.com/٢٠٠٥/٠٧/١٩/blog-count-for-july-Herald-٧٠-million-blogs/» في مدونته بعرض النتائج على القراء وطلب منهم تزويده بمعلومات أكثر عن بقية الدول. كما قام أيضًا بعمل إحصائية بعدد المدونات في المواقع الثمانية الكبرى التي تقدم خدمة المدونات مجانًا مثل موقع بلوقر و MSN Space وغيرها.نورد لكم بعضًا من الإحصائيات:الولايات المتحدة ١٥ إلى ٣٠ مليون مدونة، بريطانيا ٢,٥ مليون مدونة، أسبانيا ١,٥ مليون مدونة، الفلبين ٧٥ ألف مدونة، الدنمارك حوالي ٥ آلاف مدونة. HYPERLINK «http://www.tech٢click.net/archives/٢٤٨» http://www.tech٢click.net/archives/٢٤٨

(٣) مدونة معلوماتي، «دراسة عن مضامين التدوين العربي» دراسة عن مضامين التدوين العربي، كتبها سلام خضر ، في ١٠ تموز ٢٠١٠ الساعة ٢٢:٥٣ م، http://iraqimedia.maktoobblog.com/١٣/

نهاية شهر كانون الأول لعام ٢٠١٠م، فدراسة مضمون المدونات وتحليله من شأنه أن يطور بحوث المضامين الرّقميّة للمدونات العربية، لتبقى المشكلة متعلقة بكيفية البحث عن طريقة سهلة وبسيطة، يمكن من خلالها إدراج المستندات بالمدونة، والتي تحتوي في الغالب على ملفاتword PDF، PowerPoint ،()، قطع موسيقية، فيديو مدرج وغيرها من المواد التي تزيد بلا شك من درجة مقروئية المدونة التي تحسب من خلال عدد زيارات الزّوار الذي يحسب من خلال كود عدد الزّوار counter)) التي تتم – وقد يمتد تحليل المضمون إلى الملفات بالامتدادات (links).

ولزيادة مقروئية المدونة ينبغي لمحرر المدونة أن يراعي التالي:

جاهزية محرر المدونة لتحرير مدونته، والمتابعة المستمرة لموضوعاتها، وعدم الاعتماد الكامل على جهود الآخرين من المعلقين والزّوار، فمجرد تسجيل المدونة على موقع مشهور مجاني أو مدفوع الأجر لا يكفي.

أن تكون المدونة متخصصة في شأن من شؤون الحياة التي لها شعبيتها وروادها، والابتعاد عن التخصصات الضيقة أو التي لا تتمتع بشعبية، ويستحسن لتفادي التجارب الفاشلة إجراء ما يشبه الدراسات التجريبية الأولية، وإلا ما الفائدة من اختيار تخصص لا يوجد إقبال عليه من قبل الجمهور.

محاولة التفرد في اختيار التخصص الذي تنفرد به المدونة، وكل ما كان الاختيار مبتكراً تكون فرص نجاح المدونة أكبر، واضعين في الاعتبار الأعداد المقدرة للمدونات التي تغطي حتى أضيق المجالات، ولا داعي للتحذير من الدخول في دوائر التخصصات التي تجد منافسة عالية من قبل المدونين الآخرين.

التصميم الجيد والمبتكر للمدونة، وتفادي التصاميم سيئة الإخراج أو ذات التصاميم الجامدة التي لا تلفت النظر في عالم يزدحم بالمدونات، ويستحسن الإفادة من خبرات الرواد وتجاربهم في مجال تصميم المدونات التي أصبحت فنًا قائمًا بذاته، وله خبراؤه وفنيوه، وهنالك تصاميم جاهزة على المواقع قد تكون جيدة، ولكن من الصعب أن تتوافق تمامًا مع موضوع المدونة الذي قد يتطلب

ألوانًا معينة وأشكالاً تناسب موضوعها.

أما من حيث المحتوى فيجب أن يكون جاذبًا أيضًا، وأن يراعي في مادته ما يراعى في المادة المكتوبة على صفحة الصحيفة الورقية من حيث تسلسل المادة المكتوبة، وعدم الدفع بكل ما يكتب دفعة واحدة حتى تجذب الزائر وتجعله حريصًا على زيارة المدونة ، وأن يتجنب المدون الموضوعات المطولة لتفادي الملل ، وأفضل الأمثلة على ذلك ما قامت بعمله مدونة الويكليكس(١) التي أصبحت قبلة للزوار ومصدراً أساسًا لإنتاج الأخبار، كما يجب الاستعانة بوضع الصور اللازمة والمصاحبة للخبر، مع العمل على أن تكون الصورة صغيرة – لتسريع عملية التحميل– وواضحة في الوقت ذاته.

أما اللغة فيجب أن تكون سليمة وصحيحة، وأن تكتب المدونة بلغة الصحافة مع العمل على تفادي الفصحى المقعرة والعامية الهابطة، مع الوضع في الاعتبار أن المدونة تخاطب كل من يتحدث العربية بمختلف لهجاتهم وثقافاتهم مما يجعل المدون أمام تحدٍ أكبر في اختيار المفردة لتحرير مدونته.

ليبقي التذكير بأهمية التحديث المستمر للمدونة والبحث عن الجديد والاهتمام بعملية التواصل مع أصدقاء المدونة وزوارها، مع الاهتمام بتنشسيط البريد الخاص الذي يجب تسكينه على المدونة، لأن الكثير من القراء والزّوار يفضل التواصل مع المحرر عبر بريده الشخصي « لعدة أسباب منها الخصوصية أو للتبليغ عن أخطاء بالمدونة أو لحديث شخصي مع المدون، لذلك وجود البريد الإلكتروني الشخصي بمكان ظاهر يعد مهمًا جدًا»

يعتبر موقع ويكيليكس –كما يقول القائمون عليه– موقعًا للخدمة العامة مخصصًا لحماية الأشخاص الذين يكشفون الفضائح والأسرار التي تنال من المؤسسات أو الحكومات الفاسدة، وتكشف كل الانتهاكات التي تمس حقوق الإنسان أينما وكيفما كانت. من أبرز القائمين على الموقع الناشط جوليان أسانغي. الاسم جاء من دمج كلمة «ويكي» والتي تعني الباص المتنقل مثل المكوك من مكان معين وإليه ، وكلمة «ليكس» وتعني بالإنجليزية «التسريبات».، تم تأسيس الموقع في يوليو ٢٠٠٧م وبدأ منذ ذلك الحين بالعمل على نشر المعلومات، وخوض الصراعات والمعارك القضائية والسياسية من أجل حماية المبادئ التي قام عليها، وأولها «مصداقية وشفافية المعلومات والوثائق التأريخية وحق الناس في خلق تأريخ جديد».وانطلق الموقع بداية من خلال حوار بين مجموعة من الناشطين على الإنترنت من أنحاء متفرقة من العالم مدفوعين بحرصهم على احترام حقوق الإنسان وحمايتها ومعاناته، بدءًا من قلة توفر الغذاء والرعاية الصحية والتعليم والقضايا الأساسية الأخرى.ومن هذا المنطلق، رأى القائمون على الموقع أن أفضل طريقة لوقف هذه الانتهاكات هو كشفها وتسليط الضوء عليها.

(٢) مدونة عبر،١٩ سبتمبر ٢٠١٠ «http://blog.php.HYPERLINK abber.com/blog/tadwina/٢٩/٣/٢٧٣»
٢٧٣/tadwina/٢٩/٣abber.com/blog.php.http://blog

المبحث الخامس

مرحلة الانتقال من الديمقراطية التقليدية إلى الديمقراطية الرّقميّة Digital Democracy)) وحرية النشر عبر الفضاء الافتراضي:

لعبت التكنولوجيا الرّقميّة دوراً مهمًا في تغيير شكل الممارسة الديموقراطية وتطويرها من خلال تسهيل مهمة تحقيقها على الأرض، اعتمادًا على الوسائط الناقلة لها والتي تم التوصل إليها بفضل ثورة المعلومات والاتصالات التي أثمرت عن ميلاد نوع جديد من الديمقراطيات عرفت بالديمقراطية الرّقميّة، التي عرفت بأنها «توظيف أدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرّقميّة في توليد وجمع وتصنيف وتحليل وتداول جميع المعلومات والبيانات والمعارف المتعلقة بممارسة قيم الديموقراطية وآلياتها المختلفة»(١)، والمهم أن الممارسة الرّقميّة الديمقراطية هي التي أضافت جديدًا في التطبيق والممارسة وإن احتفظت الديمقراطية بجوهرها المتعلق بحرية الرأي والتعبير ... .

يشهد الوقت الراهن طرحًا مجددًا لسؤال قديم يدور حول إمكانية وجود بارقة أمل لتطبيق الديمقراطية المباشرة عبر آلية افتراضية جمعت ما عجزت عنه الشعارات في صعيد واحد مذكرة بذلك بعهد الديمقراطيات المباشرة اليونانية وإن جاءت بثوب جديد . لشعوب المنطقة أن تتفاءل خيراً مع من يزعمون أن الإنترنت سوف يسقط الحلقات الوسيطة بين الحكام ومواطنيهم، وأن يحقق ذلك حلاً سحريًّا لما تعانية المنطقة العربية والشمال أفريقية من مشكلة ممارسة الديمقراطية(٢)، والدليل على وجود هذه الأزمة الكم الهائل من المقالات المحررة في المدونات العربية التي يشكو محرروها من هذه المشكلات وينشدون التغيير.

فيما يرى بعضهم أن هنالك ما هو أشد خطراً من غياب الديمقراطية وهو وجود أزمات عميقة تهدد الأمة والدولة على حدٍ سواء، أزمة شرعية الحكم بعد انكشاف هشاشتها بعد الأحداث الأخيرة التي تعيشها المنطقة، والتجارب الفاشلة لمشروع الشرق الأوسط الكبير الذي ترعاه واشنطن، يضاف إلى

---

(١) الحوار المتمدن – العدد: ٢٤٢٦ – ٢٠٠٨ / ١٠ / ٦، HYPERLINK «http://www.ahewar.org/debat/show.cat.asp?cid=١٤٦» المحور: العولمة وتطورات العالم المعاصر ، HYPERLINK «http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=١٤٩٢٢٦» http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=١٤٩٢٢٦

(٢) الحوار المتمدن – العدد: ٧٧٠ – ٢٠٠٤ / ٣ / ١١ ، HYPERLINK «http://www.iwffo.org/index.php/files/images/stories/trueiraqi.com/trueiraqi.com/www.trueiraqi.com/index.php?option=com_content&view=article&id=١١٣٧٧:٢٠١٠-٠٢-١٧-١٩-٢٥-١٠&catid=٢٠٠٩:٢-٠٥-١١-٢٠-٤٨-٤٩&Itemid=٣» الديمقراطية وسؤال الأزمة في العالم العربي، الأربعاء, ١٧ فبراير ٢٠١٠ ١٣:٢٥، د.إبراهيم أبراش، HYPERLINK «http://www.iwffo.org/index.php/files/images/stories/trueiraqi.com» http://www.iwffo.org/index.php/files/images/stories/trueiraqi.com

ذلك بروز قوى جديدة لم تجد متنفسًا لها في السياسة والحكم، إضافة إلى الجدل السياسي حول التحالف بين الحكومات والقبائل مما أدى إلى ظهور ما يعرف بـ (النظام العصبي الرّقميّ)(١) الذي بدأت نشاطاته في الظهور على الإنترنت والمواقع الاجتماعية وأعمال التدوين. يؤكد ظهور وضع القبلية والطائفية والإثنية بالمنطقة العربية من جديد، وإن كان بشكل مختلف قليلاً، ما ظهر مؤخراً في ليبيا، وقضية الانقسامات القبلية الكبيرة إلى مؤيد ومعارض لنظام الحكم.

وفوق هذا وذاك فهنالك أزمة مواكبة التحول والتوافق مع العصر الرّقميّ على ضوء المعطيات الماثلة، فإذا كانت الديمقراطية في الغرب المتقدم قد توصلت إلى بحث المستقبل على ضوء معطيات العولمة والمعلوماتية ووسائل الاتصال الحديثة حتى أطلق مصطلح (النتوقراطية) على المفهوم الذي قد ينبع واقعه من علاقة المعلوماتية ووسائل الاتصال الحديثة ومن ثم وجدت تأزمات جديدة على المستوى النظري لهذه الديمقراطية وخاصة في علاقتها بالليبرالية والمجتمع المدني «إلا أن الواقع في العالم الثالث الذي بدأ يتحول إلى الديمقراطية في تسعينيات القرن العشرين عكس تحديات كبرى أمام الديمقراطية في المجال الميداني»(٢) .

هذا الجدل الدائر حول ما سمي بأزمة الديمقراطيات العربية الذي سوقت له شعارات ووصفات كانت ناجحة في إشعال فتيلة الثورات في المنطقة العربية، مثلما فعل حزب الله اللبناني في ميدان الحرية، وتجربة مماثلة ناجحة حولت ميدان التحرير إلى ساحة حرية في وسط القاهرة (٣)، ومن ثم محاولة لتكرار التجربة في دوار اللؤلؤة بمملكة البحرين، وكذلك نجاح مماثل لشعارات مثل إعادة البناء، وإشاعة الديمقراطية والشفافية إلخ، كعناوين عريضة لبرامج الثورة في أوربا الشرقية، التي تولدت في بلدان المنظومة الاشتراكية، التي تحولت تباعًا إلى النظام الرأسمالي الغربي.

---

(١) الديمقراطية الرقمية، مصدر سابق، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) ورقة بعنوان الديمقراطية من اليونان إلى ديمقراطية الإنترنت، باسل عبد المحسن القاضي،/vb.arabsgate.com/showthread.php?t=٣٣٣...

(٣) العربي الدولي ٢٠١١/٠٣/٠١، مقال بعنوان الحريري: لن ننسى يوم «البلطجة» في ٧ مايو.

ورغم تباين الآراء حول جذور الأزمة العربية، فإن مما لا شك فيه أن «الوضع العام في البلاد العربية ، والتفاعلات السياسية بالمنطقة إضافة إلى التحدي الإسرائيلي والخنوع للنظام العالمي الجديد، وتهميش الشعوب وإظهارها بأنها تقف خلف الحزب الحاكم كما في الحالة اليمنية(١)، وما تحمله كتابات المدونين العرب من مقالات تتحدث عن هذا التغييب المتعمد للشعوب(٢)، ومقالات أخرى تتحدث عن تغييب الذاكرة العربية(٣)، وحالة العزلة المضروبة على المواطن العربي سواء أكانت عزلة داخلية يعيشها، أم انقطاع عن محيطه العربي الذي تربطه به الكثير من القواسم المشتركة.

ساعد على ذلك كسر حواجز العزلة الجبرية المضروبة على المواطن العربي، خاصة بعد قيام دوائر التواصل الافتراضية التي كسرت قدرة الحكومات على المنع والسيطرة والتدفق المعلوماتي الهائل والدليل على ذلك التواصل فائق السرعة بين الثورات العربية الذي ساعد كثيراً في نشر (فيروس) الثورات العربية عبر الحدود، ويعد ذلك ليس سوى دليل على أن مصطلح «الثورة الرّقميّة» قد اكتسب معنى جديدًا تمامًا في الشرق الأوسط، كما يؤكد على فشل الأنظمة العربية على التكيف والتحاور مع هذا الواقع المعلوماتي الجديد» ضمن هذا السياق لم يعد من الممكن لبلد قوامها ٨٠ مليون نسمة أن تنفصل عن الشبكة المعلوماتية»(٤)

---

(١) مقال بعنوان: اللعب أصبح على المكشوف ومن الخطأ تغييب الشعوب، HYPERLINK «http://yafeaqm.com/vb/http://yafeaqm.com/vb/index.php?s=d٥٠٩٨٤ef٥٠fb٥bc٥٠adec٦١٦a١e٤١e٤٤b٧٨a٩e٥٢» منتديات قبيلة ياف،٢٠١١/٢/٢، ٠٨:٤٨ PM http://www.yafeaqm.com/vb/showthread.php?t=١١٣٤

(٢) مقال بعنوان: تغييب الشعب العربي وخمد الحقائق ، HYPERLINK «http://www.grenc.com/author_main.cfm?id=٢٢٢» حسين راشدب التأريخ،: ٠٣-٠٤ -٢٠٠٧ http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=٥٩٣٥

(٣) الثورات الشعبية العربية توقف وتهزم مشروع تغييب ذاكرة الأمة، بقلم: بدر الدين حمدي مدوخ ٢٥ شباط ٢٠١١ ، أمين شبكت الإنترنت للإعلام العربي (؟أمين) HYPERLINK «http://www.amin.org/articles.php?t=opinion&id=١٣٥٩٨» http://www.amin.org/articles.php?t=opinion&id=١٣٥٩٨

(٤) البوصلة، ثورة الإعلام تدعم ثورات الشعوب العربية، التأريخ:٢٠١١/١/٣١ – الوقت: ١٢:٢٩م ، http://www.albosala.com/Portals/Content/.

لا شك أن العلاقة مع ثورة الإنترنت(١) التي فسرها البعض بأنها ضمن صياغ نظرية المؤامرة على دول العالم الثالث الفقير للتطور التقني، فيما فسرها آخرون بأنها فوضى خلاقة(٢) خرجت من قمقم الغرب فانقلبت عليه، وعلى كل فإن هذه الثورة المعلوماتية ألقت بظلالها على مصطلح الديمقراطية، ليس من حيث الشكل فحسب كما تشهد تقنيات التصويت والاقتراع التقني، وإنما ستؤثر دون شك في عمليات اتخاذ القرار وحرية التعبير عن الرأي، وذهب البعض للقول بأن الخلاص الحقيقي من الأنظمة الشمولية سيكون بفضل التطور التكنولوجي الذي تأكدت سيطرته وهيمنته على وسائل الاتصال(٣).

غير أن بعضهم يشعر بالقلق من الارتباط العضوي بين الديمقراطية والتقنية، لتفرز لنا مفردة جديدة تعرف بـ (النتوقراطية) التي تسيطر عليها دول الشمال الغنية، مما يعني أن المعادلة ستكون مختلة في دول العالم النامي الذي تتحكم فيه وتسيطر عليه تقنيًّا الدولة المتقدمة تقنيًّا، وبالتالي فإن هذا الوضع ربما يؤثر تأثيراً مباشراً على الممارسة الديمقراطية في الدول النامية، غير أن واقع الحال والتجربة الماثلة للعيان تشير إلى غير ذلك، حيث إن صيحات الثوار وشعاراتهم المرفوعة يستشف منها عدم ودٍ وربما عداء مبطن لأمريكا الحليف الأساس للديكتاتوريات بالمنطقة العربية، بمعنى أن ما حققه الشمال الغني من سيطرة وهيمنة على المجتمعات العربية عبر وسائل الإعلام التقليدي ربما يعجز عن تحقيقه عبر التواصل بوسائل الاعلام الجديد وأدوات والذي لا يحتاج إلى وكالات أنباء ولا مراسلين ولا حتى تكنلوجيا متحكمة ومسيطرة، وإنما تقنية مباشرة ومحايدة.

إن تأثير الإنترنت على المجتمع كان كبيراً وخلق هزة عنيفة في المجتمعات الإنسانية، ومن

---

(١) لا شك أن الإنترنت لعب دوراً إيجابيًّا في إشاعة المناخ الديموقراطي، ومن المتوقع أن يتعاظم هذا الدور لينتقل من استحداث الأدوات إلى تجديد الأفكار، وإفساح الطريق أمام رؤى كانت محبوسة ولم تجد طريقها إلى النور لانعدام البيئة الصالحة لظهورها. ولا يوجد خلاف على تعاظم دور وسائل الاتصال الجديدة التي أدت إلى سرعة انتقال الآراء والأفكار بلا قيود، وتمكنت من حشد الرأي العام العربي وتوحيده باتجاه تنظيم التظاهرات والاعتصامات والاضرابات.

(٢) نظرية «الفوضى الخلاقة» أو «البناءة» القائمة أصلاً على فجوة الشعور بعد الاستقرار ليتولد من بعد إحباط ونقمة في أوساط المجتمع على الحكومات مما يعمل على زعزعة الاستقرار التي تسود فترة ما قبل نشر الأنموذج الديمقراطي الأميركي ويؤدي ذلك إلى قيام الحروب والنزاعات لتفضي من بعد إلى تدخل قوة خارجية للسيطرة على الوضع وإعادة بنائه من الداخل ، حيث تبنت هذه الإستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية كإستراتيجية شرعت بتجريبها في أقطار العرب والمسلمين، بدافع أن تلك الفوضى ستؤتي أكلها بعد حين. وربما يعد تصريح وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندوليزارايس» القائلة «إن أمريكا على مدى ستين عامًا سعت إلى تحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط على حساب الديمقراطية، ولم تحقق أيًّا منهما.. والآن أمريكا تتبنى نهجًا مختلفًا يفسر الحالة التي يعيشها العالم العربي والشمال الأفريقي.

(٣) الحوار المتمدن – العدد: ٢٤٢٦ – ٢٠٠٨ / ١٠ / ٦، HYPERLINK «http://www.ahewar.org/debat/show.cat.asp?cid=١٤٦» المحور: العولمة وتطورات العالم المعاصر ، HYPERLINK «http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=١٤٩٢٢٦» ١٤٩٢٢٦=http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid

التداعيات المهمة التي تركها الإنترنت من خلال رفده لكم هائل من المعلومات، إفرازه لعلوم جديدة، ومفردات جديدة متفرعه عن علوم تقليدية مثل مصطلح الديمقراطية الرّقميّة، علم النفس الافتراضي، علم الاجتماع الرّقميّ، مختبرات العلوم الافتراضية، أنظمة المحاكاة الإلكترونية... غير أن ما أتاحة الإنترنت من سرعة التواصل جعلته وسيلة طيعة وعالية الكفاءة لتوظفها القوى السياسية الحديثة والمستنيرة في مجال العلوم الافتراضية، حيث وفر الإنترنت إمكانيات كبيرة على كافة المستويات وخاصة السياسية.

فيما يخشى تيار من معارضي الديمقراطية الرّقميّة المباشرة(١)، أن يؤدي هذا التطور التقني إلى فوضى، وأن يقود الحكومات إلى المزيد من التضييق والتدخل من أجل السيطرة على الجماهير من خلال الرقابة الإلكترونية المتقدمة التي أصبحت الآن متاحة للحكومات، لإحكام السيطرة على الجمهور من خلال تكرار سيناريو الرقابة والسيطرة والتحكم(٢).

---

(١) هناك تأييد متزايد للديمقراطية الرقمية المباشرة في السويد وأستراليا وإنكلترا, خاصة فيما يتعلق بآلية التصويت عبر الحاسب، فيما أخذت رايات الديمقراطية تتسع لتشمل أفريقيا وجنوب شرق آسيا كل ذلك يعكس حقيقة أن التفاعل بين المعلوماتية والديمقراطية

(٢) مقال بعنوان الديمقراطية الرقمية المباشرة، «HYPERLINK «http://knol.google.com/k/muhannad-alsheikhly/ /http://knol.google.com/k/muhannad-alsheikhly

يقدّر عدد مستخدمي الإنترنت المتكلمين باللغة العربية حوالي ٢٨ مليونًا ونصف المليون، أي حوالي ٢,٥٪ من تعداد المستخدمين في العالم، وهي المرتبة العاشرة في العالم، بعد اللغة الإنجليزيّة ٢٨,٩٪ والصينيّة ١٤,٧٪ والإسبانيّة ٨,٩٪ واليابانيّة ٧,٦٪ والألمانيّة ٥,٢٪ والفرنسيّة ٥٪ والبرتغاليّة ٣,٦٪ والكوريّة ٣٪ والإيطاليّة ٢,٧٪. وحقق مستخدمو الإنترنت الذين يتكلمون اللغة العربية أكبر وتيرة نموّ في العالم كله في الفترة ٢٠٠٠ . ٢٠٠٧، حيث بلغت نسبتها ٩٣١,٨٪.، الجدير ذكره أنّ ما نسبته حوالي ٦٠٪ من مستخدمي الإنترنت في العالم العربي موجودون في منطقة الخليج العربي، والتي تمثل حوالي ١١٪ من تعداد سكان العالم العربيّ. أمّا بالنسبة لعدد المستخدمين في كلّ دولة عربية (مارس ٢٠٠٧) فإنّ الأعداد هي: مصر ٥,٥ مليون، المغرب ٤,٦ مليون، السودان ٢,٨ مليون، المملكة العربية السعودية ٢,٥٤ مليون، الجزائر ١,٩٢ مليون ، الإمارات العربية المتحدة ١,٣٩٧,٢٠٠، سورية ١,١ مليون، تونس ٩٥٣ ألفًا، الكويت ٧٠٠ ألف، الأردن ٦٢٩,٥٠٠ ألف، لبنان ٦٠٠ ألف، اليمن ٣٣٠ ألفًا، عُمان ٢٨٥ ألفًا، فلسطين ٢٤٣ ألفًا، قطر ٢١٩ ألفًا، ليبيا ٢٠٥ آلاف، البحرين ١٥٥ ألفًا، الصومال ٩٠ ألفًا، العراق ٣٦ ألفًا. موريتانيا ٢٠ ألفًا، جيبوتي ١٠ آلاف. أمّا نسبة السكان الذين يستخدمون الإنترنت بشتى أنواعها (العادية وعالية، أي عريضة، النطاق) لتعداد السكان في الدولة، فهي كالتالي: الإمارات العربية المتحدة ٣٥,١٪، قطر ٢٦,٦٪، الكويت ٢٥,٦٪، البحرين ٢٠,٧ ٪، لبنان ١٥,٤٪، المغرب ١٥,١٪، الأردن ١١,٧٪، المملكة العربية السعودية ١٠,٦٪، عُمان ١٠٪، تونس ٩,٢٪، فلسطين ٧,٩٪، السودان ٧,٦٪، مصر ٦,٩٪، الجزائر ٥,٧٪، سورية ٥,٦٪، ليبيا ٣,٣٪، جيبوتي ١,١٪، اليمن ١٪، الصومال ٠,٧٪، موريتانيا ٠,٥٪، العراق ٠,١٪..

المبحث السادس
النشر الإلكتروني - مرحلة حتمية لتفادي قيود النشر الورقي -

الحريات الصحفية وحريات النشر تشهد تراجعًا مستمراً في هامش الحريات التي تكفله بعض دول المنطقة، وذلك كما توضح تقارير المنظمات المعنية بقضايا حريات النشر الصحفي(١). وتقول تقارير دولية إن الدول العربية لا تتمتع الصحف فيها بالحرية عدا عدد قليل منها يتمتع بهامش حرية(٢) ويرجع بعضهم هذه الانتهاكات التي تتعرض لها الحريات الصحفية إلى عدم إحراز تقدم في الإصلاح السياسي في الدول العربية، بل وأن المنظمات العاملة في مجال مراجعة الحريات لا تحبها الحكومات العربية كثيراً مثل منظمة «مراسلون بلا حدود» التي تصدر تقريراً سنويًّا يعنى بأوضاع الحريات الصحفية في مختلف بقاع العالم، ومن بينها الدول العربية.

فقد سجل تقرير ٢٠٠٥م لموقف الحريات في الوطن العربي ١٣٦ حالة انتهاك للحريات الصحفية في الدول العربية، بدءًا من الانتهاكات غير المباشرة وصولاً إلى انتهاكات الحق في الحياة، حيث سجل التقرير مقتل ٢٥ صحفيًّا عربيًّا، منهم ٢٢ في العراق واثنان في لبنان وثالث في ليبيا ووصفهم التقرير بأنهم شهداء الصحافة العربية(٣)، كما تضمن التقرير قائمة لمن سماهم بأعداء حرية الصحافة في العالم ومن بينهم زعماء عرب، حيث جاء هذا التقرير نتيجة لترسانة القوانين المقيدة للحريات في هذه الدول ومضايقة الصحفيين من الوصول للمعلومات التي يريدونها، وأكد

---

(١) الكويت تحتل المرتبة الأولى عربيًّا و ٦٠ عالميًّا حسب تقرير مراسلون بلا حدود، وجاءت لبنان في المرتبة ٦١، الإمارات العربية المتحدة محتلة المرتبة ٨٦، مملكة البحرين تحتل المركز ٩٦ في الترتيب الدولي للحريات، ليبيا فتحتل الرتبة ١٥٦، السعودية فتحتل المرتبة ١٦٣، المغرب الذي جاء وفق التصنيف العالمي في المرتبة ١٢٧ سنة ٢٠١٠، كما يتبين أن وضع الحريات الصحفية بدول الخليج مع لبنان هو أحسن حالاً من باقي دول العالم العربي كما صنفت دولاً أخرى أكثر خطورة على الصحفيين وهي على التوالي : هندوراس ، باكستان ، نيجيريا والفلبين ، فيما احتلت أيسلندا ولوكسمبورغ والنرويج قائمة الدول الأكثر احترامًا لحرية الإعلام... لمزيد من التفاصيل ارجع تازانيوز، HYPERLINK «http://www.tazacity.info/news/articles-action-listarticles-id-٤٤.htm» محمد حميمداني، وضعية الإعلام في الوطن العربي، ٢٠١٠/٧/١٠، HYPERLINK «http://www.tazacity.info/news/articles-action-show-id.٤٢٤-htm» http://www.tazacity.info/news/articles-action-show-id.٤٢٤.htm

(٢) مؤسسة حرية الفكر والتعبي صر -، الجمعية العراقية للدفاع عن حقوق الصحفيي، لبنان - جمعية الدفاع عن الحقوق والحريات، الاتحاد الليبي للمدافعين عن حقوق الإنسان، المجلس الوطني للحقيقة والعدالة والمصالحة في سورية، الشبكة الدولية للناشطين العرب، المبادرة العربية لإنترنت حر، مركز حرية الإعلام في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، شبكة النبأ المعلوماتية، شبكة النبأ المعلوماتية، مراسلون بلا حدود

(٣) شبكة النبأ المعلوماتية، شبكة النبأ المعلوماتية-الأحد ٤/حزيران /٢٠٠٦ -٦/جمادى الأولى//١٤٢٧ HYPERLINK «http://www.annabaa.org/nbanews.٢٢١/٥٧/htm» http://www.annabaa.org/nbanews.٢٢١/٥٧/htm

هذه الإشكالية مركز عمان لدراسات حقوق الإنسان الذي أصدر تقريره السنوي الخامس تحت عنوان «الحق في الوصول إلى المعلومة في العالم العربي» وأظهر التقرير أن الدول العربية لم تدعم هذا الاتجاه سوى تشريعات متواضعة ظهرت في الأردن، اليمن والبحرين(١).

هذه القيود الصارمة للنشر في العالم العربي فوتت على الصحافة الورقية دورها الرقابي كسلطة رابعة تراقب وتوجه لمكامن الفساد والمفسدين، كما حرم الجماهير من التعبير عن رأيها في شؤون الحكم والسياسة بحرية، وهو حق تكفله الدساتير وحقوق الإنسان، فكان الوضع الطبعي البحث عن فضاء آخر للحريات فكان الفضاء الافتراضي هو الخيار الأمثل وربما الأوحد، ومكن من ذلك التطورت المذهلة والسريعة لشبكة الإنترنت الغنية بمصادرها، يضاف إلى ذلك الفراغ الكبير في هامش الحريات فكان اختيار الإنترنت هو الخيار الأمثل لسد هذا الفراغ.

ميزة أخرى تضاف إلى هذا الخيار وهي أن الإنترنت له علاقة وثيقة بعالم السياسة، وهي علاقة عززت دور المنظمات غير الحكومية (NGOs)، التي أصبحت بفعل تكنولوجيا الاتصال قادرة على تطوير تحالفاتها في مواجهة سياسات الدول لتشكيل الدولة الكونية الواحدة الآخذة في التكوين.

غير أن النظر إلى عالم الإنترنت على أنه عالم الحرية المطلقة يكذبه الواقع، حيث إن الولايات المتحدة التي تعد معقل الحرية والديمقراطية صاغت قوانين ووضعت وسائل لضبط السلوك والحريات عبر الإنترنت، حيث تفيد الإحصاءات في عام ١٩٩٩م وحده فرضت الولايات المتحدة ٢٠٠٠ قانون لتنظيم شؤون الإنترنت(٢)، كما تجب الإشارة إلى أن أكثر الدول الغربيّة المتقدمة تقنيًّا تقوم بفرض نوع من نظم الرقابة، خصوصًا فيما يتعلق بالأمور المتعلقة بأمن دولتها بشكل أو بآخر خاصة التي يعتقد أنه متعلق بالإرهاب.

---

(١) فضائية الجزيرة، واقع الحريات الصحفية في العالم العربي، الحلقة: ٢٠١٠/٥/٣ الأربعاء ١٤٣١/٥/٢٢ هـ – الموافق ٢٠١٠/٥/٥ م (آخر تحديث) الساعة ١٦:١٦ (مكة المكرمة)، ١٣:١٦ (غرينتش) HYPERLINK «http://www.aljazeera.net/NR/exeres» http://www.aljazeera.net/NR/exeres

٢) تطور الإنترنت والسياسة في خمسة أقاليم في العالم، مدونة المعرفة، الأحد ١٤٢٥/٨/١٧ هـ – الموافق ٢٠٠٤/١٠/٣) http://www.aljazeera.net/NR/exeres/٦C١٠٧٥٤B–AC٤١٦–٤٤B–BC٠٨٨–٨٦DEBC٣AE١١.htm، ا)م(آخر تحديث) الساعة ١٣:٣٣ (مكة المكرمة)، ١٠:٣٣ (غرينتش

كما تشير التقارير إلى أن الكثير من الدول العربية تقوم بفرض نظم لمراقبة محتوى الإنترنت السياسيّ والديني والاجتماعي والجنسي(١)، حيث تقوم أجهزة الترشيح (الفلترة) بمقارنة العناوين المطلوبة بمجموعة من العناوين الممنوعة، وحجبها عن المستخدم إن كانت ممنوعة، وبعض أنظمة الفلترة هذه تقوم بمسح محتوى الصفحة المطلوبة، حتى وإن لم تكن من ضمن قائمة الصفحات الممنوعة، وتحوي بعض أنظمة الفلترة المتقدمة على برامج تقوم بفحص الصور وتحليلها ومعرفة دلالاتها قدر المستطاع، وحجبها إن كانت ممنوعة، حيث تعد الصين صاحبة تجربة رائدة في مجال الحجب والمنع وأفضل دليل على ذلك ما قامت به مؤخراً من حذف لنتائج البحث المتعلق بكلمة «مصر» على موقع محرك البحث غوغل

غير أن المملكة العربية السعودية تعد من أكثر الدول التي تطبق سياسات المنع والحجب، حيث إن الشركات العاملة في هذا المجال تتسابق في تقديم هذه التقنية للمملكة العربية السعودية(٢).

إمكانية السيطرة والتحكم في الإنترنت:

ما زالت الأنظمة العربية تعيش أزمة الفهم الصحيح لحرية الإعلام، ويعد ذلك نتيجة طبعية لغياب الديمقراطية بالمنطقة، حيث لا يمكن تصور وجود حرية للإعلام بدون ديمقراطية، كما لا يمكن اعتبار حرية الإعلام عائقًا في طريق التحول نحو الديمقراطية، كما تعتقد بعض الأنظمة، وقد امتد هذا الفهم – الذي يوضحه وضع تقرير الحريات الصحفية الصادر عن الاتحاد العام للصحفيين العرب مؤخراً(٣)– ليشمل حريات فضاء الإنترنت كملاذ ثانٍ للحصول على حرية إبداء الرأي والتعبير عن الأفكار المكبوتة، غير أن الأنظمة وضعت الرقابة الصارمة على الإنترنت وجندت التقنيات العالية لهذا الغرض، حيث يظهر ذلك جليًّا في التشويشات على موجات البث التلفزيوني لعدد من الفضائيات العربية التي أكدت بأن التحكم على الفضاء الافتراضي عملية ممكنة الحدوث(٤)، ليكون التساؤل من بعد ذلك هل سيطال التشويش مواقع الإنترنت كما طال الفضائيات

(١) تطور الإنترنت والسياسة في خمسة أقاليم في العالم، مدونة المعرفة، الأحد ١٤٢٥/٨/١٧ هـ – الموافق ٢٠٠٤/١٠/٣ م(آخر تحديث) الساعة ١٣:٣٣ (مكة المكرمة)، ١٠:٣٣ (غرينتش، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/٤٤C٤٤B-AC٤٤-٤٦C١٠٧٥٤B--٤١٦B.htm، ٠٨٨DEBC٣AE١١-BC٨٦)

(٢) شبكة الاتحاد، مقال بعنوان الشركات العالمية تتنافس لإمداد المملكة العربية السعودية ببرامج حجب المواقع ، شبكة الاتحاد HYPERLINK «http://www.ittihadnet.net/net/showthread.php?t=٧٥٣٧» http://www.ittihadnet.net/net/showthread.php?t=٧٥٣٧

(٣) صحيفة مرايا الإلكترونية، مثير للجدل : الحرية الإعلامية واقع مأساوي، هاشم العبد الله، HYPERLINK «http://www.maraya٢.com/news.php?action=show&id=١٢٤٠» http://www.maraya٢.com/news.php?action=show&id=١٢٤٠

(٤) صحيفة الخليج، مقال بعنوان التشويش على الفضائيات، السبت ٢٠١٠/٠٦/٢٦، http://www.alkhaleej.ae/portal/

التفزيونية؟(١) ليصبح العالم خاضعًا للرقابة الرّقميّة، وإلى أي مدى يمكن التصدي لظاهرة التحكم والتشويش على الإنترنت في ظل التطور التقني والرّقميّ المتنامي، وفي ظل مؤشرات توضح بأن عمليات التشويش والحجب والمنع ستتطور في ظل التطور التقني، مثلما حدث للقنوات الفضائية ، حيث يجيب عن هذا التساؤل خبير البث الألماني الجنسية شولتس "بأنه ستسهل في المرحلة المقبلة عمليات التشويش، الأمر الذي قد يؤدي إلى انتشارها "، ويدعو الخبير الألماني في الوقت نفسه إلى أن «تشديد القوانين الدولية لتعزيز فرص محاسبة المسؤولين تعد هي المخرج»، لأن الإطار القانوني هو الحل الوحيد الذي يمكن بواسطته حماية القنوات الفضائية من التشويش عليها في ظل الإمكانيات التي توفرها التقنيات الحديثة.(٢)" وتتطلب هذه التقنيات في الوقت الحاضر، أن تقوم القنوات الفضائية بتقسيم إشارات بثها عبر العديد من الأقمار الاصطناعية، وتحتاج بالتالي إلى إمكانيات مالية ضخمة لن يكون بمقدور المؤسسات ذات الميزانيات المتواضعة توفيرها، مما يعني أنه حتى الديمقراطية الرّقميّة ليست بمنأى عن التحكم والسيطرة.

غير أن تجارب الحجب لمواقع الإنترنت والمدونات والمواقع الاجتماعية في مصر مؤخراً أظهرت قدرة الشباب المصري في التغلب عليها من خلال اللجوء إلى ما يعرف بالبروكسي سيرفر proxy server ، وكذلك توظيف التكنولوجيا القديمة مثل الفاكس وأجهزة الراديو لتبادل الرسائل عبر أجهزة المودیم ذات السرعة البطيئة، كأسلوب وقتي طارئ للالتفاف على الحظر الذي فرضته الحكومة المصرية على شبكة الإنترنت بسبب تنامي الاحتجاجات عليها.

وتشير التقارير إلى أن دولتي الصين وإيران تتصدران الرقابة على الإنترنت، حيث أحرزت الدولتان تقدمًا تقنيًّا كبيراً في تطوير برامج الرقابة على الإنترنت وحجب المواقع غير المرغوب فيها بشكل أكثر فاعلية، وفي هذا السياق أوضحت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون أن بلادها ستنفق

---

(١) ويشرح هورست شولتس رئيس قسم البث في مؤسسة دويتشه فيله عملية التشويش، بأنها تتم عن طريق "بث موجات على ترددات القنوات نفسها وعلى القمر الاصطناعي نفسه الذي تبث منه القناة التي يراد التشويش عليها، وفي هذه الحالة يعجز القمر الاصطناعي عن التمييز بين الإشارة الأصلية السليمة وبين الأخرى الدخيلة وأن التشويش يتم من خلال ترددات كهرومغناطسية تُبث عبر محطة أرضية تقوم بإرسال إشارة البث إلى القمر الاصطناعي. ثم يرسل القمر الإشارة نفسها على تردد آخر، لكن الإرسال يكون في هذه الحال مشوشًا". ويجعل هذا أجهزة الاستقبال لدى المشاهدين عاجزة عن استقبال الإشارة الأصلية، وكما هو معلوم تمنح القنوات الفضائية ترددات صاعدة وأخرى هابطة، وغالبًا ما تتعرض الصاعدة منها إلى عمليات التشويش.

(٢) ميديًا ٢٤ ، مقال بعنوان هل يمكن التصدي لظاهرة التشويش على الفضائيات؟http://mym٢٤.com/٢٠١٠/١٠/١٧/

٢٥ مليون دولار هذا العام لدعم نشطاء الإنترنت والمدونين في أنحاء العالم..! ووجهت وزيرة الخارجية الأميركية انتقادات حادة للدول التي تفرض قيودًا على استخدام الإنترنت، محذرة من أن ذلك سيكون له ارتداداته على تلك الدول على المدى البعيد في خطاب ركز على حرص أمريكي مريب على حرية التعبير عبر الإنترنت(١).

(١) وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون تؤكد أن بلادها ستنفق ٢٥ مليون دولار هذا العام لدعم نشطاء الإنترنت والمدونين في أنحاء العالم..!الأربعاء, ١٦ فبراير ٢٠١١ ١٣:٠٧ قضايا سعودية HYPERLINK «http://www.news-sa.com» http:// www.news-sa.com .

المبحث السابع
مستقبل ثنائية الديمقراطية والكتابة الإلكترونية في العالم العربي والشمال الأفريقي:

استطاع الإنترنت أن يضاعف من توسيع فرص المشاركة والحوار الديمقراطي، وتغيير السلوك الاجتماعي والسياسي للمجتمعات المعاصرة، حيث يشمل توظيف الإنترنت عدة جبهات منها إدارة الحملات الانتخابية للمرشحين عبر الإنترنت، شبكات التواصل web logs ومواقع التواصل الاجتماعي مثل موقع MeetUp.com، إضافة إلى تشكيل الرأي العام والحوارات السياسية عبر الإنترنت(١).

لقد ساعدت تقنيات التواصل الاجتماعي وبرمجياته Social software على زيادة نسب الممارسة الديمقراطية للمجتمعات من خلال مجرد الضغط على الفأرة طلبًا لمعلومة أو فرصة المشاركة أو توضيح وجهة النظر، وذلك عبر دوائر تواصل اجتماعي وفق القضايا المطروحة للنقاش حولها. لقد ساعد هذا النمط من التواصل الذي ألغى المسافات بين الشعوب والأفراد على قيام ديمقراطية مباشرة شبيهة بالديمقراطيات الإغريقية من حيث توسيع فرص المشاركة، وإن اختلفت مواعين الممارسة، فهي ديمقراطية قائمة على قاعدة المواطنة»citizen-based« دون اعتبارات للتوجهات السياسية أو الخلفية المجتمعية ، وإنما غرس نواة للمجتمع العالمي الموحد في الفضاء الإلكتروني وعلى صفحات المدونات الإلكترونية Weblogs لتنشأ من خلال ذلك الوثيقة العالمية لنشوء الديمقراطية الإلكترونية(٢). Word document

ويلاحظ المهتم بأن حرية التعبير في هذا العصر -عصر الصحافة الإلكترونية- ومن خلال عمله في فضائه الإلكتروني غير المقيد بقيود صارمة أو قابلة للتحكم فيها كما هوالحال في بيئة عمل المدونات والصحافة المطبوعة، قد فتح واتاح عصراً جديدًا لنشر الحريات، لذلك تعد النوافذ

(1) The Internet's Impact on Mainstream Politics, http://depts.washington.edu/ccce/digitalMedia/politicalimpact.html

(2) Weblogs and Emergent Democracy, Edited by Jon Lebkowsky,http://joi.ito.com/static/emergentdemocracy.html#_ftn10

الإلكترونية هي الوعاء الحامل للحريات الرّقميّة التي تتيح حرية الرأي والاستماع للرأي الآخر بسهولة ويسر، ودون اكتراث لحواجز المنع والإخفاء وحبس الرأي في الصدور(١)
والسيناريوهات الاستشرافية لقراءة المستقبل والتنبؤ به من واقع ازدياد أعداد المدونات وتحول الصحافة الورقية إلى صحافة إلكترونية من ١٠ صحف فقط في العام ١٩٩١م إلى ١٦٠٠ صحيفة في عام ١٩٩٦م وفي العام ٢٠٠٠م قفز العدد إلى ٤٠٠٠ صحيفة إلكترونية على مستوى العالم , وأن حوالي ٩٩٪ من الصحف الكبيرة والمتوسطة في الولايات المتحدة الأميركية قد وضعت صفحاتها على الإنترنت، ويرجح أن يزيد العدد في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين إلى ما يزيد عن العشرين ألف صحيفة إلكترونية موزعة على مختلف أرجاء العالم , وأكثر من ٥ ملايين موقع إلكتروني موزع ما بين منتديات شخصية ورسمية ومدونات وغيرها من أشكال التبادل الثقافي الرّقميّ(٢)، مما ينبئ بامتزاج السياسة والعلوم والاقتصاد ... بالصحافة، وبالتالي تتلاشى الحدود وتتاح فرص أكبر نحو جعل المعلومة متاحة، والتعبير ميسوراً، «وفي هذا الصدد تضعنا ظاهرة الصحافة الإلكترونية أمام واقع جديد يمكن أن يقدم الوجه الآخر والرأي الآخر بمنتهى السهولة واليسر، ويقفز فوق حواجز تكميم الأفواه وإخفاء الحقائق وكتم الرأي في الصدور(٣).
فالأنموذج الجديد الذي تُسهم التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال، وبخاصة الإنترنت، ومتغيرات العصر في تشكيله، قد كسر حاجز اقتصار استخدام وسائل الاتصال على النخب لتملي أفكارها على العامة الذين كانوا لا يقدرون ولا يجرؤون على الإفصاح عن آرائهم، وبالتالي فقد كسر هذا النمط الجديد من التواصل التبادلية والتفاعلية بين المرسل والجمهور ،وجعل الخطاب العمومي أكثر انفتاحًا إذ لم يُعد التواصل العمومي يقتصر على النخب السياسية والثقافية من أحزاب وجمعيات «وغيرها. وتشير الدراسات الحديثة إلى أن استخدامات الإنترنت وفقًا لهذا الأنموذج في الدول التي تصنف بأنها غير ديمقراطية ساعدت في كسر الطوق على بعض الجماعات السياسية، مما دفع البعض إلى التسليم بأن التكنولوجيا الحديثة لوسائل الاتصال ومنها الإنترنت أصبحت عدو النظم السياسية التي تنتهك حقوق الأفراد، لأن وسائل الإعلام التقليدية تدعم الحكومات وليس الأفراد، ولكن الإنترنت أصبح يعطي القوة للأفراد والجماعات... وأن مدوّنات الإنترنت تمتلك القدرة على

(١) ضفاف الإبداع، مدخل إلى الصحافة الإلكترونية ،بقلم: جمال غيطاس، الاثنين, ١٤ مارس, ٢٠١١، http://difaf.net/main/?p=٤١٣٥.

(٢) الحارة العمانية، مستقبل الإعلام في ظل الثورة الرقمية ،١٤-١٠-٢٠٠٩, ٠٦:٢٧ PM، http://alharah.net/t١٢٣٦٢.html

(٣) ضفاف الإبداع، الاثنين, ١٤ مارس, ٢٠١١،مدخل إلى الصحافة الإلكترونية ، بقلم: جمال غيطاس، http://difaf.net/main/?p=٤١٣٥.

نشر أي تفسير سياسي، دون الاضطرار للتعامل مع حراس البوابة في الإعلام التقليدي، مما جعل التدوّين السياسي يؤثر على الحياة السياسية العامة في المجتمعات «كما أضحى عالم التدوّين يساعد في بناء أفراد يمتلكون مستويات عالية من الديمقراطية والمشاركة السياسية.»(١)

وبمرور الزمن أصبح التدوين ظاهرة سياسية مميزة لهذا العصر، وبدأ التدوين يشكل مادة لبحث التدوين وفنونه وتقنياته وأبعاده الاتصالية وقدراته الإقناعية خاصة في الولايات المتحدة وفي عام ٢٠٠٢م صارت المدونات وسيلة معتمدة للأخبار ويستخدمها الساسة والعامة للتعبير عن آرائهم حول القضايا المطروحة،» وكانت الحرب في العراق في ٢٠٠٣م سببًا مهمًا من أسباب انتشار المدوّنات بشكل كبير»(٢).. وبحلول عام ٢٠٠٤م أصبح التدوّين هو الاتجاه السائد، وبدأ معظم السياسيين وقيادات المجتمع وعامة الناس في إنشاء مدوّنات خاصة بهم ومعبرة عن آرائهم.

فبفضل انتشار «مقاهي الإنترنت»في المدن والقرى على حد سواء، وبفضل انخفاض سعر خدمات الانترنت والهاتف المحمول في دخولها إلى جل البيوت وانتشار استعمالها بين جميع شرائح المجتمع، انتشرت الديمقراطية وأتيحت حرية التعبير رضي الحكام أم أبوا، بفضل هذه الوسيلة السحرية الحديثة التي استطاعت أن تسهم بفاعلية في نشر الحريات والديمقراطيات(٣) ، رغم سياسات غلق لاقطات القنوات الفضائية ومنعها وفرض الرقابة على محركات البحث الرّقميّة.

لتكون الإجابة سهلة وميسورة على السؤال المتعلق بمستقبل العلاقة ما بين الديمقراطية والصحافة الإلكترونية وهي علاقة جدلية موجبة وليست طردية سالبة وبالتالي فإن المزيد من التوسع في مواعين النشر والتواصل الافتراضي تعني المزيد من الديمقراطية السحرية – الافتراضية.

---

(١) صحيفة المدى، الديمقراطية الافتراضية للمدونات الإلكترونية في مواجهة السلطة،الأحد ١٣-٠٦-٢٠١٠ ٠٤:٥٤ صباحًا، ..٣Dv٪٣Faction٪almadapaper.net/news.php

(٢) صحيفة المدى، مصدر سابق.

(٣) بين الضفتين، العرب ونعمة الحرية الرقمية، سعيد كيغلان، ندلس برس،السبت ١٤٣٢/٠٥/١٣ هـ – الموافق ٢٠١١/٠٤/١٦ م ، http://www.andaluspress.com/detailsdifa.php?Id_page=٢٩

النتائج

•يتضح من ذلك أن حركة الإصلاحات الديمقراطية التي تشهدها المنطقة العربية، وثيقة الصلة بزيادة حركة النشر الإلكتروني في العالم العربي وتنامي التواصل الاجتماعي عبر الفضاء الافتراضي، الذي أصبح يسهم إسهامًا فاعلاً في صناعة الرأي العام للمنطقة العربية على وجه الخصوص.

سرعة الإصلاح الديمقراطي وفجائيته جاءت نتيجة طبعية لسرعة الموصل نفسه، فالمدونات الرّقميّة تخاطب الرأي العام العربي في الوقت ذاته وعلى حدٍ سواء، فيما يشكل مصطلحا العولمة والمجتمع المدني المقدمة المنطقية لحركة الإصلاح الديمقراطي بالمنطقة العربية.

التوصيات:

هنالك ضرورة لأن تنحو دراسة العلوم السياسية وعلم التواصل الرقمى، دراسة جدلية تكاملية للبحث عن علم جديد يجمع هذه العلوم التي أصبحت متكاملة مع بعضها بعضًا، لتنتج لنا علم الاتصال السياسي أو علم تقنيات السياسة أو حتى علم السياسة الرقمي، مع ضرورة إجراء مراجعة مفاهيمية لعلم السياسة والديمقراطية على وجه التحديد، بعد دخول التقنية لفضاءاتها المعرفية بعد أن كانت السياسة عبارة عن مفاهيم مجردة.

ضرورة أن تهتم كليات الإعلام والعلوم السياسية بتوظيف المنهج المسحي وتطويره معززاً بأسلوب تحليل المضمون للمساعدة في دراسة مضامين المدونات الرّقميّة وتحليلها والتي باتت تشكل فضاءً معرفيًّا مهمًا، مع النظر لإمكانية قيام مؤسسة بحثية متخصصة تقوم بذلك وتعمل على التنبؤ بما يمكن أن ينتج عن اتجاهات الرأي الرقمي حسب ما تعكسه مواقع المشاركة الافتراضية والمدونات الرّقميّة، ويمكن أن تكون هذه المؤسسات ضمن مراكز الدراسات الإستراتيجية أو المراكز الشبيهة.

ضرورة التعمق في دراسة ظاهرة الثورات العربية الرّقميّة للتأكد فيما إذا كانت صناعة عربية خالصة أم وصفات معلبة صنعتها وصاغتها وصدرتها مراكز الدراسات الإستراتيجية الغربية لتكون شكلاً جديدًا من أشكال الإمبريالية الرّقميّة التي تناسب لغة هذا العصر، أو لتكون استعماراً للفضاء السيبيري بعد أن أصبحت كل أشكال الاستعمار القديم مرفوضة ووليكون رأيًا عامًا عالميًّا مناهضًا لها.